



19.9.2012



الغراب

التاريخ الطبيعي والثقافي

بوريا ساكس

ترجمة : ايزميرالدا حميدان



سلسلة الحيوانات

الغراب

بوريا ساكس

ترجمة: ايزميرالدا حميدان



سلسلة الحيوانات
الغراب
التاريخ الطبيعي والثقافي



مراجعة: أسامه المنزجي

الطبعة الأولى 1431هـ - 2010م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)

QL696.P2367 S2912 2010

Sax, Boria

الغراب / يوريا ساكس: ترجمة ايزميرالدا حميدان - أبووظبي: المجمع الثقافي، كلمة، 2010.
ص. : سم.

ترجمة كتاب: Crow.

تدمك: 9-495-01-9948-78

1 - الحيوانات والحضارة. 2 - الحيوانات - صور. 3 - الطيور - اساطير وحكايات. أ - حميدان، ايزميرالدا.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:

Boria Sax

Crow

Copyright. 2003 by Boria Sax

Was first published by Reaktion Books in the Animal series, London, UK, 2003



www.kalima.ae

كلمة
KALIMA

ص.ب: 2380 أبووظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6314 468
فاكس: +971 2 6314 462



www.cultural.org.ae

أبووظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE · HERITAGE

ص.ب: 2380 أبووظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: +971 2 6215 300
فاكس: +971 2 6336 059

إن هيئة أبوظبي للثقافة والتراث « كلمة » غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف وليس بالضرورة عن آراء الهيئة.

حقوق الترجمة العربية محفوظة لكلمة

يتم نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر.

المحتويات

المقدمة.....	٩
١- بلاد ما بين النهرين.....	٣٢
٢. مصر واليونان وروما.....	٤٠
٣- العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا.....	٥٨
٤- آسيا.....	٨٣
٥- ثقافة سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر).....	٩٣
٦-العصر الرومانسي.....	١٠٦
٧-سيد الغربان.....	١٣٣
٨-القرن العشرون وما بعد.....	١٥٠
شكر.....	١٧٩



قناع لهنود قبيلة كواكوتل على شكل غراب، ١٩١٤

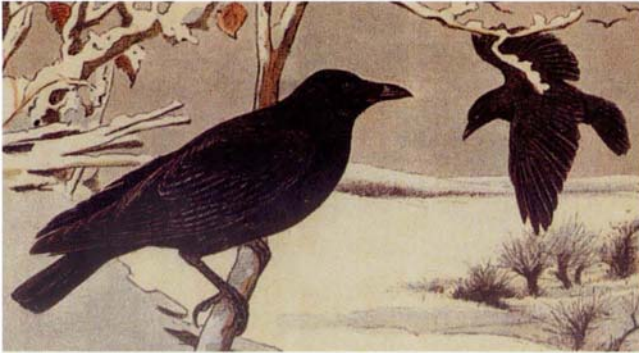
مقدمة

الغراب هو شخص فتي مرح على الرغم من معطفه الداكن كالخبر شون أو كاسي، من «الغراب الأخضر» من المعتاد في مدننا وريفنا أن الغربان نادراً ما تلتفت في اتجاه البشر. فصرخاتهم ليست من أجلنا إنما هي فقط من أجل الغربان الأخرى. على كل حال وفي أحد الأيام، بينما كنت عائداً إلى المنزل في وايت بليزنز (منطقة في مقاطعة ويستشستر) في نيويورك، رأيت غراباً صغيراً بانساً يقفز عابراً الرصيف أمامي، وعندما حاولت أن انظر إليه مرة أخرى لم يبد أنني أثرت فضوله أو أخفته، ولكن على عكس عادات الغربان بدا أنه يرحب بنظراتي في بعض الأحيان. في البداية ظننت أن الغراب قد يكون جريحاً وفكرت في الاتصال بأحد من المتعاطفين الإنسانيين أو بطبيب بيطري ولكن الغراب لم يظهر أي علامة من علامات الألم بل إنه بدا أقل قلقاً مني.

كان هناك بضع ياردات مربعة من العشب على طول الشارع المزدحم ولكنها كافية لتضم بضع أشجار من بينها شجرة صنوبر طويلة، وبالنظر مباشرة نحو الأعلى من خلال الأغصان استطعت أن أرى عشا قرب قمة الشجرة. كان هذا الغراب فرحاً صغيراً طرد من العش كي يتعلم الطيران. لم يكن باستطاعة أحد من المارة على ذلك الرصيف المزدحم إلا أن يلقى نظرة في اتجاه ذلك الغراب. في بعض الأحيان كانت الكلاب أو الأطفال يقومون بمطارده، ويحاول بعض العجائز التحدث إليه أو إطعامه.

وكان الغراب يقفز بعيداً بأدب، ليس مسروراً كثيراً ولا منزعجاً، واستمر هذا الوضع لعدة أيام. وتحولت القفزات إلى طيران قصير ثم أصبح التحليق أطول فأطول بالتدرج، وبعد حوالي أسبوع، مررت في ذلك الطريق لأرى الغراب ولكنه لم يكن هناك.

وغالباً ما يميل الفنانون لإظهار الرشاقة الخاصة بالغربان على الرغم من أن القليل من الناس يقدر ذلك. وفي الحقيقة، لعلها ليست بعيدة جداً



ولكنها تفضل الحفاظ على مسافة معقولة بعيداً عن البشر. لم يعد بإمكاننا تمييز ذلك الغراب عن باقي الغرابان التي يمكن أن تكون أطفاله أو أهله في تلك الحديقة، ولكن يطيب لي أن أتخيل أن ذلك الغراب ربما كان يراقبني سرّاً في بعض الأحيان، وقد عاود الانضمام إلى باقي الغرابان بعد إقامة قصيرة في عالم البشر، ولعله يحمل ذكريات سعيدة يتشارك بها مع باقي الغرابان. على السطح، تبدو العلاقات عادة بين الغرابان والبشر مجاملة من بعيد ولكن أهمية هذه الطيور في التراث الشعبي لها قيمتها، فهي وإن كانت طيوراً مأكراً، فإن لها جاذبيتها لدى الرجال والنساء على قدم المساواة. عندما ينظر المرء إلى الطيور الأخرى في المدن مثل طيور الحمام أو العصافير فإنها عادة تبدو وكأنها تقضي وقتها ببساطة في الاسترخاء والتقاط فتات الطعام. وعلى عكس ذلك، يبدو دائماً أن هناك شيئاً مهماً يحدث مع الغرابان، وكأن المرء يتفرج على دراما محلية، فهي تطير بحوية وتنادي بعضها بطرق غير متوقعة.

وما هو الغراب؟ لا توجد صورة أبسط وأكثر هيبه عن الحيوان وأقرب إلى الصواب منها. نحن نفكر في رسم بياني عن أجنحة مبسطة، ورأس محدب وذيل أسود ممتد يعاكس في لونه بياض ثلج الشتاء. تبدو هذه الصورة، منظرًا شعرياً، ولكن الطريقة التي يرى بها العلماء الأشياء أكثر تعقيداً بكثير، فهم

يقولون لنا إن الغربان تنتمي لسلسلة كورفيدا Corvidae التي تضم أيضاً غربان العقعق وطيور أبي زريق و cloughs وغربان الجوز وطيوراً أخرى .

هذه الطيور تنتمي إلى فصيلة باسيريفورم Passeriformes المشهورة باسم الطيور المغردة، على الرغم انه ليس لدى جميع أفرادها أصوات موسيقية. ربما كانت أصول سلسلة كورفيدا Crovidae من استراليا، عندما كانت فيه تلك القارة معزولة نسبياً عن القارة الاورواسيوية. وبعد أن انحرفت القارات مقتربة من بعضها منذ حوالي ٢٠ إلى ٣٠ مليون سنة مضت، عبرت هذه الطيور إلى آسيا. وتبع هذه الهجرة فترة من التغيرات السريعة في التطور بينما كانت الطيور تنتشر في أوروبا وأمريكا.

اليوم نرى أفراداً من سلسلة كورفيدا Corvidae في جميع أنحاء العالم إلا في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ومناطق صغيرة نسبياً قرب القطبين. إن كلمة «غربان» يتم استخدامها في بعض الأحيان للإشارة إلى جميع أعضاء هذه السلسلة من الطيور. وغالباً ما تستخدم بشكل أشد صراحة للطيور من نوع كورفوس Corvus والمعروفة أيضاً «بالغربان الحقيقية» والتي تشمل الغداف. الغربان المحتالة وغراب الزيتون. أخيراً قد يستخدم هذا المصطلح، بشكل غير علمي تماماً، لأفراد نوع كورفوس Corvus التي ليس لديها اسم شائع.

في هذا الكتاب، سننظر في العلاقة بين البشر والغربان من جوانب عديدة. بما في ذلك العلاقة الشعرية والتصنيف العلمي والسلوك الحيواني والأساطير والحرفات وحتى الفنون التصويرية. فإذا كان من الصعب أن نصدق أحياناً أن الشعراء والعلماء يتحدثون عن الموضوع نفسه، فإننا نستطيع أن نفكر في القصة المشهورة من التعاليم الهندوسية، والمعروفة باسم «العميان والفيل» حيث تم وضع سبعة عميان أمام فيل وطلب منهم وصفه.

أحدهم تحسس الرأس وقال إن الفيل يشبه السللة، في حين أن الآخر لمس الخرطوم وظن أن هذا المخلوق يشبه الأفعى، بينما قال الذي لمس مؤخرة الفيل بأنه محراث وقال الذي لمس الجسم بأنه مخزن. وادعى



تظهر دروع عائلة كوربرت
الغراب من منظور بشري
محب.

الأخرون الذين لمسوا أجزاء أخرى من الفيل بأنها مثل العمود أو المدفع أو المدقة أو الشجيرة. إن الهدف من هذه الحكاية هو توضيح كيف أن الأمور المختلفة وحتى المتعارضة منها ظاهرياً يمكن أن تكون في النهاية أجزاء من حقيقة واحدة.

بالطبع، نحن لا نتحدث عن الأمور من المنظور الثقافي والحضاري. فالعميان هنا المقصود بهم الشعراء والعلماء والكهنة والرسامون... الخ وهم لا يقومون بتفحص الفيل بل الغراب. ومع ذلك فإن المبدأ نفسه ينطبق هنا، حيث أن الأشكال المختلفة للنشاطات الثقافية هي في النهاية جزء من تقليد واحد ومعاً تستطيع بناء صورة متكاملة أكثر منها منفردة. في هذا الكتاب سأتحرك جيئة وذهاباً بين العلم والشعر والأسطورة والتقاليد الأخرى في إعادة سرد تاريخ الغريان والبشر.

هذه الطيور غالباً ما تكون سوداء بالكامل، على الرغم من أن بعض الأنواع لديها مساحات بيضاء أو بنية أو رمادية أو زرقاء أو بنفسجية أو حتى خضراء. عادة ما يجعل هذا الريش الداكن الغريان تتمايز بشكل دراماتيكي وكذلك يجعل من الصعب تمييزها عن بعضها، فالأسود هو لون التراب والليل وربما لهذا كانت الغريان غالباً ما ترتبط بقوى غامضة. إنه اللون الذي يجعل المخلوقات تبدو أكثر جلالاً وجديّة، ولهذا فقد كان اللون المفضل لثياب الكهنة وكذلك لمدراء المدارس حتى وقت قريب.

إن طريقة وقوفهم المحدبة وحبهم لالتهام الجيف ساعداً في جعل الغريان رمزاً للموت وبالرغم من ذلك فإن قلة من الطيور الأخرى تتمتع بحيوية الغريان وحبها للعب، فهي تقوم بالكثير مما يبدو أنه لعب بلا جدوى مثل حمل غصن صغير عالياً وإسقاطه ثم الانحدار نحو الأسفل والتقاطه ثانية. قد تتدلى الغريان بالمقلوب بدون أي سبب واضح وعلى قدم واحدة أو تقوم بتنفيذ شقلبات خلفية أثناء الطيران. تقوم الغريان في ألاسكا مراراً وتكراراً بكسر قطع من الثلج المتجمد على الأسطح المائلة وتستعملها كمرحلة لتنزلت عليها. وكان لورانس كيلهام، الذي ألف كتاباً مهماً حول السلوك الاجتماعي

رسم توضيحي لغراب في
كتاب صادر في القرن التاسع
عشر عن التاريخ الطبيعي.
وهذا الغراب حتى الآن
هو الأكبر والأكثر هيبة بين
فصيلة الغربان الكورفيد
.corvids



لفصيلة الغربان، وقد أطلق النار ذات مرة على غراب في أيسلندا فسقطت
منه ريشة واحدة إلى الأرض وطار الغراب بعيداً. وعندما توقف كيلهام ليعيد
حشو مسدسه عاد الغراب وطار فوق رأسه واسقط بقايا التوت البري التي
كان يأكلها على قبعته، فاستنتج كيلهام أن الغربان، بالإضافة إلى كونها ذكية،
لديها حس الدعابة أيضاً.

تبدو الغربان من خلال اعتمادها على سيقانها الطويلة القوية وكأنها
تنزلق فوق الأرض، ثم تصعد مرتفعة بلا جهد تقريباً، وهي تضرب الهواء
بأجنحتها وكأنها مجموعة من الأشباح. ويتميز الغراب بأن له منحني واحداً
من رأس منقاره وحتى نهاية ذيله، يتغير بتناغم عندما يدير الغراب رأسه أو



أبو زريق الأزرق (blue jay نسبة للعالم ج.ج اودبون)، من كتاب عن التاريخ الطبيعي يعود إلى القرن التاسع عشر. وهو واحد من أكثر أنواع الغربان انتشاراً في أمريكا الشمالية، وهو طائر لعبوب وكثيراً ما جعله هذا مخادعاً في الأساطير التي نسجت حوله.

ينحني نحو الأرض.

إلى اليسار: كسار بندق

من أكثر أنواع فصيلة الغربان شيوعاً الغربان أكل الجيف (كورفوس كوروني كوروني)، والغراب ذو القلنسوة (كورفوس كوروني كورنيكس)، والغراب الأمريكي (كورفوس براكيهينكوس)، والغراب العادي (كورفوس كوراكس)، وغراب الغداف أو الروك (كورفوس فروجيليجوس)، إضافة إلى غراب الزيتون (كورفوس مونديولا). تمتاز جميع هذه الطيور بتنوعها الكبير، وتجمعها بالبشر علاقات معقدة.

إن الغربان أكل الجيف أسود اللون بشكل كامل، على الرغم من أن ريشه يعطي بريقاً بنفسجياً أو أخضر تحت أضواء معينة. والغراب ذو القلنسوة لديه مساحة واسعة من اللون الرمادي الباهت في مؤخرة رقبتة ونهاية صدره. وفيما عدا ذلك فإن هاتين الفصيلتين الفرعيتين متطابقتان تقريباً، وتزاوجان فيما بينهما بحرية عندما تتشابه مجالاتهما. وربما انفصلتا عندما انفصل

تجمعان لهما في العصر الجليدي، وتغطي مساراتهما المشتركة أغلبية القارتين الأوروبية والآسيوية. يعيش الغراب ذو القلنسوة عادة في أقصى الشمال وفي منطقة المتوسط وأوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، في حين أن الغراب أكل الجيفة معروف في أوروبا الغربية وكوريا واليابان.

يمثل الغراب الأمريكي الغراب أكل الجيف في الحجم، حيث يقارب طوله ٤٠ سنتمتر أو ١٧ انشاً عند البلوغ، وفي اللون. ويرى بعض الباحثين أن الاثنين يجب أن يعتبراً نوعاً واحداً، وسبب التفرقة بينهما جغرافي محض. فلكي تنتمي الحيوانات إلى النوع نفسه يجب أن يكون التزاوج بينها عادة



لديها، ولكن المحيط يفصل الغراب أكل الجيف عن الغراب الأمريكي.
فالغراب الأمريكي يعيش في مستوطنات واسعة على طول الولايات المتحدة
وكندا ولكن ليس له وجود خارج أمريكا الشمالية.

أما الغراب العادي، وبغض النظر عن اسمه، فلا يُشاهد كثيراً، ولكن له
مدى هائلاً. فهو يعيش على طول النصف الشمالي للكرة الأرضية وشمال
الصحراء الإفريقية. وهو أطول بشكل ملحوظ من الغربان الأخرى، حيث
يصل طوله إلى حوالي ٦٥ سنتيمتراً أو ٢٧ انشاً عند البلوغ. ولديه أيضاً
منقار ثقيل وصوت عميق بشكل خاص. وعندما يحلق فوقنا مباشرة فإنه
من الممكن تمييزه عن باقي الغربان بشكل ذيله المستدق وأجنحته الحادة
الأطراف، ويلاحظ عليه أيضاً أنه يناوب بين رפרفة جناحيه والارتزاق.

ولا يزال هناك نوع آخر من الغربان يحدث الخلط كثيراً بينه وبين
الغراب أكل الجيف وهو غراب الغداف. الروك (Rook) ونستطيع تمييزه
بشكل أساسي عن طريق المساحات الخشنة والباهتة حول عينيه ومنقاره.
كما يجعل وجوه غربان الروك تبدو ذابلة ومعبرة جداً. وهذه الطيور شائعة
جداً في شمالي أوروبا، ولكن مداها الطبيعي يمتد شرقاً حتى اليابان. وقد
جرى خلال القرن التاسع عشر إدخالها إلى نيوزيلندا وهي منطقة لم تعرف
الغربان من قبل.

إن العضو الوحيد من فصيلة الغربان الذي لن يخلط أحد بينه وبين
الغربان الأخرى من ناحية المظهر هو غراب الزيتون الذي يصل طوله إلى ٢٥
سنتيمتراً أو ١٠ بوصات فقط، وهو أصغر بكثير من البقية، وله منقار قصير
وحاد ولونه رمادي حول الكتفين وأعلى الصدر. وعلى أية حال فإن أكبر ما
يميز غراب الزيتون أعينه الفضية التي تشع بقوة وسط ريشه الداكن المحيط
بها. وغراب الزيتون شائعة في أوروبا وفي القسم الغربي من آسيا، حيث أن
عادتها في النعيق عندما تصفق بأجنحتها أكسبتها صيتاً بأنها ميالة للأذى.
هناك أكثر من ٢٠ إلى ٣٠ عضواً آخر في فصيلة الغربان ويعتمد ذلك
على التصنيف الذي نفضله. ويوجد الغراب البني الظهر (كورفوس

غراب العقق: من
كتاب عن التاريخ
الطبيعي البريطاني صدر
عام ١٩١١. وعلى الرغم
من أنه لا يعد غراباً
حقيقياً، فإن طائر العقق
يعرف عنه كسائر الغربان
الذكاء.



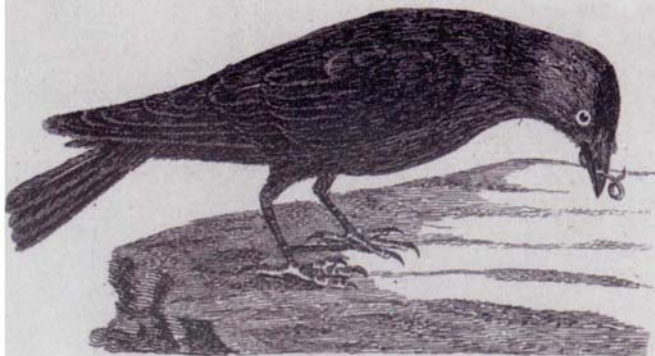
روفيكالوس) في أغلب أجزاء نصف الكرة الأرضية الجنوبي، بما في ذلك
استراليا وإفريقيا وأجزاء من أمريكا اللاتينية. ويوجد غراب المنازل الهندي
(كورفوس سبليندينس) وغراب الغابة (كورفوس ماكوروشينشوس) في
أجزاء كثيرة من جنوبي آسيا. والعديد من أعضاء فصيلة الغربان تلتزم
بمستوطنات محددة نسبياً أو حتى جزر محددة.

إن دراسة تصنيف الغربان، اليوم، ومثل باقي الحيوانات، موضع
جدال خفي بين المختصين، حيث أن الاختلافات بين فصائل الغربان
(الكورفيدس) غالباً ما تكون مفيدة وأنيقة، ولكنها لن تساعدنا أبداً في فهم
الإشارات إلى الغربان في الأساطير أو الأدب. وقد يكون من شبه المستحيل
معرفة أي نوع من الغربان هو المقصود في قطعة من التراث الشعبي. فقيل
القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كان يمكن تمييز أنواع متعددة من الطيور
والمخلوقات الأخرى بصورة فضفاضة، وغالباً ما يتم هذا الأمر من خلال
خصائص مثل اللون. وفي بعض الأحيان كان يُخلط بين الطائر الأسود
والغراب أكل الجيف، على الرغم من أن الاثنين ليسا قريبين جداً من

Pl. XXXIV

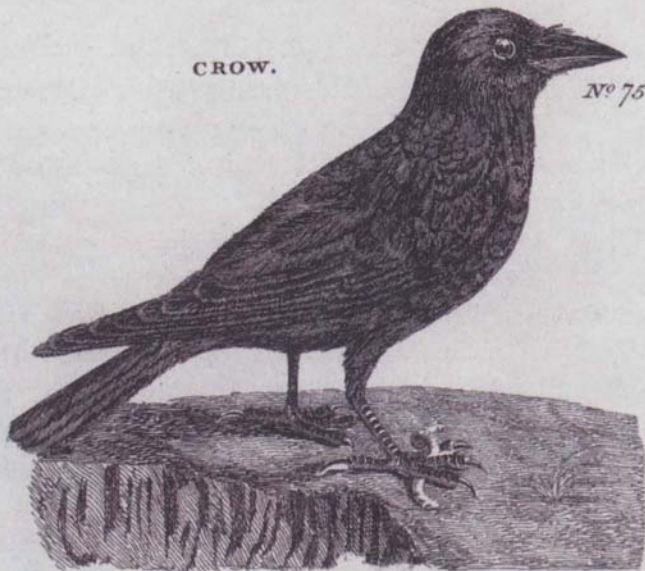
JACKDAW.

Nº 81



CROW.

Nº 76



M Griffiths del

غراب زيتون وغراب
أمريكي، من كتاب عن
التاريخ الطبيعي صادر
في القرن التاسع عشر.
صور الرسام غراب
الزيتون كلب في حين
رسم الغراب وكان له
هبة معلنة

بعضهما، وذلك ببساطة لأن لهما ريشاً متشابهاً. ولكن حتى ندخل إلى روح الحكايات القديمة، علينا أن نكون قادرين على وضع جزء من المعارف التي اكتسبناها جانباً. فعند الحديث عن الأساطير، لا يستطيع المرء دائماً استخدام لغة العلم.

يقل وجود الغربان في الأساطير المنهجية الرائعة لأوروبا وآسيا عن الأساطير الغابرة. فالأساطير المهيبة التي تحمل قناعات رسمية تصور حيوانات إما خيالية أو غريبة كالتنانين، وأحادي القرن (Unicorn حيوان خرافي له جسم فرس وذيل حصان وقرن وحيد وسط الجبهة) أو الأسود. ولكن يمكن للخرافات التي عاشت آلاف السنوات أن تكون أقدم من الأساطير، فالأساطير الرسمية عادة ما تكون نتاج طبقات المحاربين والكهنة. ويعبر التراث الشعبي (الفولكلور) عن رؤية أكثر تساوياً وربما أكثر قدماً عن العالم الذي لا يعيش فيه فقط الملوك والفلاحون ولكن أيضاً الحيوانات والنباتات التي تتفاعل بحميمية نسبية. هذا هو النوع الذي تكون فيه الغربان في مكانها المناسب تماماً، وهي معتادة على العيش معتمدة على ذكائها.

إن أسماء الغربان بدائية غالباً. فالحيوانات الأخرى قد سميت تبعاً لارتباطها بالأساطير أو الحياة اليومية. والكلمات المختلفة التي تميز الغربان (الكورفيدس) مشتقة بشكل عام من محاولات لتقليد نداءاتها. أحد الأمثلة هي كلمة الغراب الإنجليزية «Crow» والتي اشتقت من الكلمة الانجوساكسونية. «cráwe» وهي مرتبطة بالمرادف الألماني Krähe، الذي هو أقرب إلى نداء الطير. مثال آخر هي كلمة «raven» والتي اشتقت من النرويجية القديمة hrafn. وقام اللغويون بتتبع الكلمة إلى أبعد من ذلك، إلى الكلمة الألمانية من ما قبل التاريخ khraben، وهي نسخة جيدة عن نداء الغراب. وهي تعود إلى الكلمة اللاتينية Corvus، والكلمة الأيرلندية القديمة crú والكلمة السنسكريتية karavas، والمرادفات القريبة في العديد من اللغات الهندو-أوروبية الأخرى. إن اسم غراب الزيتون «jackdaw» يركز على مزيج من كلمتي «daw» وهي كلمة انجوساكسونية تعني

الأحمق، وكلمة «thank» أو «Jack»، وهي صوت ذلك الطائر. إن كلمة «rook» مشتقة من الكلمة الانجلو ساكسونية hróc أو بشكل أكثر حداثة «croak» أي النعيب. إن الاسم «magpie» غراب العققع، هو وفقاً لإحدى النظريات، مزيج من كلمتي «Margaret» مارغريت. «pied» أي المنقط، بمعنى السيدة التي ترتدي ثياباً فرحة. وعلى أي حال، فالاسم اللاتيني للطيور هو Pica pica والذي هو غالباً تقليد لصوت الطائر. تبدو هذه الألقاب سحرية، نظراً لأن إطلاق اسم على الطائر، بطريقة ما، يهدف لاستدعائه بالنداء عليه.

هناك جدال مستمر بين العلماء عما إذا كان الغراب الأمريكي أو الغراب الأسود أو أي من أقربائهما المتنوعين هو الأكثر ذكاء. وقد اتفق جميع علماء الطيور، على كل حال، أن الغربان تقع قرب قمة هرم عالم الطيور فيما يخص أدمغتها، وربما الببغاوات هي فقط من يجاروها. تمتلك الغربان أكبر الأدمغة نسبة إلى حجم جسم أي طير، وأدمغة الغربان مزدحمة تماماً بالخلايا العصبية. حيث أن دماغ الغراب الأمريكي يعادل حوالي ٣,٢٪ من كتلة جسمه. علماً إن دماغ البشر يعادل حوالي ١,٥٪ من كتلة الجسم، في حين أن دماغ الدجاجة المنزلية يعادل حوالي ١,١٪. وبالنسبة للغراب العادي، فالنسبة حوالي ١,٣٪، بالرغم من أن هذه الطيور لديها أثقل الأدمغة



دروع البارون فون
ريندشيدت، ربما
ترمز إلى الترابط بين
قوة التخزين وحكمة
الغراب.

على الإطلاق بين الطيور، من ١٢-١٧ غراماً.

إن «الذكاء» هو مفهوم له صدى أسطوري في المجتمع المعاصر. فالجميع يتفقون على أنه أمر مهم جداً، ولكن لا أحد يعرف ماهيته. وقد أجمع العلماء على أن التعريف الدقيق للذكاء الذي يتجاوز خطوط الفصائل يكاد يكون مستحيلاً. وعلى أي حال فإن الفكر الشعبي ليس دائماً متواضعاً أو حذراً، فالذكاء لا يستخدم غالباً كمقياس لقدرات معينة، ولكن أيضاً كمقياس للقيمة الكاملة للإنسان أو الحيوان. ونحن عادة نحسب الذكاء على أنه الميزة التي تفرق البشر عن الوحوش وربما الحيوانات عن النباتات.

إن ذكاء الغربان، بالإضافة إلى الشارب حول مناقيرها والابتسامة الظاهرية هو ما يجعلها، بطريقة ما قريبة من البشر. وقد قال دايفيد كوامين، الكاتب المختص بشؤون الطبيعة إن كامل عائلة الغربان مليئة بسلوك استثنائي وعادات راسخة تستدعي تفسيرها وليس فقط من قبل علماء الطيور ولكن أيضاً من قبل الأطباء النفسيين. وتقوم نظريته على أن الذكاء الطبيعي للغربان هو أكثر بكثير مما هو مطلوب لاستمرار الحياة في موقعها البيولوجي، والنتيجة هي أن الغربان تشعر بالضجر دائماً وتقوم باختراع ألعاب لتسري عن نفسها. بمعنى آخر، إن الغربان تشبه الأطفال الأذكياء في بيئة لا تشجع الانجازات الذكية ولا تقدرها.

وتقول حكاية منسوبة تقليدياً إلى الحكيم اليوناني ايسوب Aesop، الذي يقال إنه قد عاش في جزيرة ساموس في القرن السادس قبل الميلاد، إن غراباً عطشان عثر على جرة مليئة بالماء وكانت أثقل من أن يستطع قلبها، فبدأ الغراب بإلقاء الحصى من فتحة الجرة حتى ارتفع مستوى الماء واستطاع الشرب منها. ونقل الموسوعي بلييني الأكبر في القرن الأول أن الناس شاهدوا فعلاً غراباً في حقبة القحط يقوم بتكديس حجارة في مدفن تذكاري يحتوي ماء المطر. اعتقد العلماء في غالبية القرن الثاني عشر أن الطيور غير قادرة على القيام بمثل هذا النوع من التفكير، وبالرغم من ذلك فإنه في السبعينات من القرن العشرين، راقب علماء أمريكيون طائر أبو زريق سجيناً (كيانوسيتا



Roni Caprice Piroletti

كريستاتا)، وهو طائر من أقارب الغربان، يقوم بعفوية بإسقاط أجسام صلبة في كأس من الماء ليرفع مستوى الماء فيه تماماً كما في الحكاية المذكورة. لقد قام العديد من المراقبين، بمن فيهم علماء رفيعو الشأن، بالإبلاغ عن أعمال ذهنية استثنائية من قبل الغربان. ويعتقد بعض الباحثين أن فصيلة من الغربان توجد في جزيرة كاليدونيا الجديدة في المحيط الهادي هي، بعد الإنسان، أكثر صانعي الأدوات احترافاً بين الحيوانات. ويتضمن «صندوق الأدوات» الخاص بها قضيباً مصنوعاً من فرع حاد الرأس ويستخدمه الغربان لإخراج الديدان من أوراق أشجار النخيل. وهناك أيضاً كلاب، منحوت بدقة من فرع مقوس، يستطيع بواسطته الغربان سحب الديدان من الثقب. وربما الأكثر غرابة أن لديه منشاراً مصنوعاً من هيكل ورقة الشجر يستخدمه لتقطيع وتقسير الديدان. كل هذه الأدوات صنعت بتصميم ودقة استثنائية.

وفي مدينة سينداي في اليابان قامت الغربان أكلة الجيف باكتشاف

غربان نرويجي وأبو
زريق كندي للويس
أجاسيز بويرتيس.
الريش السميك
يسمح لهذين النوعين
من الغربان بالحياة
في المناطق الشمالية
المتجمدة.

طريقة حاذقة لكسر الجوز. فهي تأخذ الجوز وتنتظر قرب الطريق حتى يتحول لون الإشارة إلى الأحمر فتهدب وتضع الجوزة أمام عجلة سيارة وتحلق ثانية، وعندما يتحول لون الإشارة إلى الأخضر تعود لتأكل قطع الجوزة التي كسرتها السيارة. وفي فنلندا، حيث يقوم الصيادون بترك خيوط صنانيرهم في الحفر التي حفروها في الجليد، تقوم الغريبان ذات القلنسوة بصورة منهجية بسحب الخيط من الماء وسرقة ما اصطادته. وقد قام العديد من الباحثين خلال العقود الماضية بالإبلاغ عن حوادث تؤكد ذكاء الغريبان. ومنها أن أحد الغريبان في المختبر توصل لطريقة غرف الماء من كوب بلاستيكي وحمله بعيداً لترطيب حبوب الطعام. وآخر قام باستعمال قطعة ورق لدفع كسرات الطعام إلى مسافة يصل إليها منقاره من داخل قفصه.

من المحتمل أن أغلب الأدلة الدراماتيكية عن ذكاء الغريبان تم اكتشافها في عام ٢٠٠٢ في مختبر أوكسفورد الخاص بالعالم أليكس كاسيلنيك، الذي قام بوضع غرابين من جزيرة كاليدونيا الجديدة (كورفوس مونيدولويديس) ويدعيان أبل وبيتي في مواجهة أحجية، اتضح فيما بعد أنها كانت بدائية جداً بالنسبة لمثل هذه الطيور الذكية. وقد تم تزويدهما بمقدار كبير من الطعام من خلال أنبوب وأعطيا سلكتين أحدهما معقوف والآخر مستقيم لاستخراج الطعام من الأنبوب. وقد لاحظا مباشرة ماهي الأداة المناسبة. بدأ أبل العمل باستخدام السلكت المعقوف في حين قامت بيتي بثني السلكت المستقيم بدقة وصنعت منه كلاباً وحصلت على وجبتها. وبعد تجربة هذا الأمر لأكثر من مرة لم يقد الغراب فقط بحل الأحجية بل في كل مرة كانت بيتي تبتكر طرقاً جديدة لثني السلكت. وفي بعض الأحيان كانت تمسكه بقدميها وتثنيه باستخدام منقارها، وفي أحيان أخرى ثبتت أحد الأطراف باستخدام شريط لاصق وقامت بثني الطرف الآخر. وقد تم مواجهة الشمبازي والقرودة بالمهمة نفسها ولكن لم يستطع أي منها التوصل لطريقة لإنجازها.

لقد لاحظت في وايت بلينز، حيث أعيش، كيف أن الغريبان توصلت لمعرفة مكان المطاعم والتوقيت الذي يقومون فيه بإخراج القمامة. وكانوا ينتظرون قرب

مكان إلقاء القمامة ويقومون بتمزيق الأكياس البلاستيكية المفتوحة بشكل منظم للحصول على الطعام. ويبدو أن كل شخص هنا لديه قصة تتضمن غراباً أو أنه شاهد الغربان تكشف عن ذكائها غير العادي أو وعيها العاطفي. قد تكون تفسيرات هذه الحوادث عرضة للشك خاصة من وجهة نظر العلماء. ولكن بالتأكيد فإن هذه الحوادث ليست مجرد سجل فقط ولكنها أيضاً تحتوي تفسيرات يعتقد بها للسلوك، حتى أن المراقب الدقيق قد يتأثر بالمشاعر الشخصية أو عبر افتراض التفوق البشري. ولكن حتى ولو بقي لدينا بعض الشك في التفسيرات الفردية فإن الأعداد الهائلة من الحكايات التي تدور حول الغربان تظهر أن لدى هذه الطيور طريقة في إدهاش الناس.

يعتبر الباحثون أن الملكة اللغوية مؤثر مهم على الذكاء، ووفقاً لإحدى الدراسات تم فك رموز ٢٣ صرخة مميزة للغربان الأمريكية، وأشياء مثل نداءات الاجتماع أو التحذير من الخطر. وهذه مفردات قد تحسدها عليها القروء الكبيرة. هناك العشرات من النداءات الأخرى ذات المعنى والتي تصدرها الغربان والغربان السوداء ولكن لم يتم تفسيرها حتى الآن. وبعض هذه النداءات خاصة بمناطق محددة أو حتى لثنائي واحد. فلكل غراب نداء خاص يعرفه رفاقه عن طريقه، وأكثر من ذلك فإن الغربان تقوم بتقليد ماهر، حيث تقلد نداءات البوم وربما بعض الحيوانات الأخرى في البرية. وقد تم تعليم الغربان في الأسر استخدام أجزاء من اللغة الانسانية. ولربما يتم الكثير من التواصل بين الغربان من خلال مزيج من الأصوات والحركات، فمثل هذا التفاعل قد يكون متقناً ومحدداً، ومع ذلك فإنه، شأنه في ذلك شأن التواصل الحميم بين البشر، يعتمد على المحتوى الذي لن يتمكن الغرباء عن المجتمع من فهم البشر من فكه رموزه.

هذه الملكة اللغوية تنعكس أيضاً في التراث الشعبي، حيث يقوم الغراب والغراب أكل الجيف بقول القليل جداً للإنسان في الأساطير، ولكن كلماتهم النادرة تلك تحمل معاني عميقة. وقد ذكر كتيب انكليزي صدر في عام ١٦٩٤ أن غراباً في هيرفوردشير قال ثلاث مرات: «انظر إلى

صورة لأبو زريق أزرق
من كتاب «إبتون لطيور
نيويورك». وتساعد ألوانه
البراقة وصوته المرتفع في
جعل هذا الطائر أحد أكثر
الطيور جذباً للانتباه في
أمريكا الشمالية.



كتاب العهد الجديد التعاليم الثالثة والخامسة عشرة». لكنَّ غربان العقق
وأبو زريق مشهورة باللهو، مما منحها شهرتها كمحتالة في الحضارات الممتدة
من أمريكا الشمالية وحتى الصين. والميزات اللغوية لديها أكسبتها سمعتها
كمحبة وشياطين وجنيات أيضاً.

ومن علامات الذكاء الأخرى الحياة الاجتماعية المعقدة التي لا تزال
تتحدى الباحثين اليوم، فغالباً ما تتعاون الغربان بالصيد والبحث عن الطعام.
ومن خدعها المفضلة العثور على قندس اصطاد سمكة للتو، حيث يقوم أحد
الغربان بنقر ذيل القندس، مما يجعله يلقي بالسمكة التي يمسكها ويلتفت



غراب الروك Rook

(كورفوس فروجليجوس)

في رسم لجان سيب تعود

لعام ١٧٩٠. إن بشرة وجه

هذا الطائر الخشنه والعارية

تجعله يبدو كمحارب شرس

يرتدي خوذة.

نحو الخلف في الوقت الذي يقوم فيه غراب آخر بالتقاط السمكة.
إن الوحدة الأساسية لمجتمع الغربان هي العائلة الممتدة والتي تتمركز حول زوج يتوالد بكثرة. فالغربان الأمريكية تحتاج إلى حوالي ثلاث سنوات حتى تصل إلى سن البلوغ وتبدأ التزاوج، ويمكن للثنائي ان يتناسلا كل سنة. والغربان التي لم تصل بعد إلى سن التزاوج أولم تستطع الحصول على شريك تبقى مع أبويها وتساعد في تربية النسل الجديد، وتساعد بشكل خاص في بناء الأعشاش. وتتمتع الغربان بمعدل حياة طويل، بالمقارنة مع الطيور الأخرى، يتجاوز في بعض الأحيان العقدين من الزمان مما يمكنها من تطوير صلات عائلية عبر الأجيال. وتمتلك الغربان رقصات مغازلة تقوم فيها بخفض أجنحتها وهز ذيلها، ولا تقيم الغربان علاقات جنسية مع أكثر من شريك واحد في الوقت نفسه. وقد اعتبر المصريون القدماء الغربان رمزاً للتناغم العائلي.
يقوم العديد من الغربان بما فيها الغراب أكل الجيف والغراب الأمريكي

بتشكيل تجمعات ضخمة في أواخر الخريف أو في الشتاء، وفي بعض الأحيان تبلغ أعدادها الآلاف (وفي حالات قليلة تصل الى المليون)، ولكن أسباب ذلك الاجتماع تبقى غامضة. فقد تكون على سبيل المثال، للحماية من المفترسين كألوية، أو يمكن أن تكون لتبادل المعلومات حول مناطق الطعام، أو للعثور على الشركاء. ويمكن أن تكون خليطاً من هذه الأسباب وأسباب أخرى. ووفقاً للأسطورة، فإن هذه الاجتماعات كانت بهدف عقد محاكمة. إن أكثر الغربان ميلاً للعزلة هي الغربان السوداء والتي عادة ما تعيش على شكل أزواج أو عائلات صغيرة في المناطق النائية، وغالباً في المناطق الجبلية، على الرغم من أنها قد تجتمع أحياناً لتشكل مجموعات من المئات أو حتى الآلاف. إن العزلة النسبية التي تعيش فيها الغربان السوداء مع حجمها المهيب يجعلها رموزاً خاصة وقوية للقدر. وأكثر الغربان اختلاطاً هي غربان الروك Rook وغربان الزيتون، والتي تشكل مستعمرات فيها الكثير من الأعشاش على شجرة واحدة أو في مبنى مهجور.

يتشارك الغربان مع البشر في تلك الحميمية الخاصة مع عائلة الكلابيات (canid). فقد لاحظ العلماء في أمريكا الشمالية علاقة شبه بيولوجية بين الذئاب والغربان أو الغربان السوداء. حيث تقوم الغربان السوداء باللاحق بمجموعات الذئاب، ومن ثم تقوم بأكل بقايا الحيوانات التي قتلها الذئاب.



غراب ذو قلنسوة من كتاب
عن التاريخ الطبيعي من القرن
التاسع عشر. والغربان قريبة
للقلوب حتى أن المزارعين
غالباً يميلون لمساحتها
وفي الغالب لأكلها من
محاصيلهم.

كما تقوم الغربان باسترعاء انتباه الذئب إلى البقايا والجثث، ثم تقوم بأكل بعض اللحم بعد أن تكون الذئب قد قامت بتمزيق الجلد وفتحه. وفي أمريكا الشمالية، وربما في أماكن أخرى كذلك، تقوم الغربان السوداء بلعب نوع من ألعاب المطاردة مع الذئب، حيث تقوم الغربان السوداء بالانقضاض على الذئب لتدفعها إلى مطاردتها، وفي أحيان أخرى تقوم الغربان السوداء بدورها بمطاردة الذئب. أحياناً تجتمع مجموعات الذئب مع أسراب الغربان السوداء لتشكيل نوعاً من الفرق الموسيقية معاً، حيث يتناوب عواء الذئب مع صرخات الغربان السوداء. ويشارك هذا الطير وذلك الحيوان الثديي في التفاخر ويرتبطان معاً بفكرة التدمير، كما أنهما مرتبطان معاً في كثير من الأساطير، فمثلاً: كلاهما يرافقان أودين النرويجي، إله السحر والمعارك.

قد يجادل البعض فيما إذا كانت هذه الخاصية التي تشترك فيها الغربان مع البشر مؤشراً على الذكاء أم الحماسة، فكلاهما يحب الأشياء البراقة. فالغربان الأصغر مثل غراب العقق و غراب الزيتون، مشهورة بسرقة الجواهر. وفي مجموعة الأساطير الألمانية يقص الإخوة جريم كيف أن مسؤولاً فاسداً استخدم غراب الزيتون في القرن السابع عشر لسرقة كامل خزينة مدينة شويديتز، قطعة ذهبية في كل مرة. مثل هذا السلوك البشري المثير للشبهات يمكن أن يزيد الشكوك في أن الطيور كانت مقربة من السحرة.

إن التشابه بين الغراب والإنسان يمكن أن يقود إلى العداوة أو إلى المودة، الطعام في شأنها شأن الإنسان، تأكل كل شيء رغم أن لها ولعاً خاصاً بالجيف. وتروي حكاية من الصومال كيف أن الطيور عقدت اجتماعاً لتقرير كيفية تقسيم الطعام في العالم. فاقترح الغراب الأسود الذكي أن كل الطيور الأكبر منه يجب أن تقتات على اللحوم، في حين أن الطيور الأصغر يجب أن تأكل النباتات. وتم قبول الاقتراح، ولكن الأمر الذي لم ينتبه إليه الآخرون هو أن الغراب ترك حراً ليأكل أي شيء.

ولكن قبل حلول القرن العشرين، عندما كان المجتمع البشري في العالم ككل قروياً إلى حد كبير، كان يمكن مشاهدة الغربان وهي تنقر جثث

الحيوانات الميتة، والأكثر أهمية، أنها كانت تشاهد وهي تمزق أمعاء الجنود الموتى وحتى المحتضرين منهم في ميدان المعركة. حتى أنهم تعلموا كيف يتبعون الجيوش في انتظار الطعام. ولكن فكرة أن يؤكل المرء من قبل الغربان يمكن أحياناً أن تكون معزية، وخصوصاً في الحضارات التي تفضل أن تنظر للحياة على أنها دائرة مستمرة من الولادة والموت. وكان من عادات أجزاء من بلاد فارس والهند إطعام الجثث للطيور، وفي التبت استمر التقليد القاسي بإطعام أجساد الموتى للحيوانات آكلة الجيف وخاصة منها الغربان والطيور الأخرى حتى الخمسينات من القرن العشرين. وحتى يمكن للطيور أكل الجثث بسهولة أكثر، كان سكان الجبال يقومون بتقطيع الجثث إلى قطع صغيرة ويقومون بدق العظام وعجنها مع الشعير حتى لا تترك منثورة على الأرض. إن أكلها للجيف كان السبب الذي جعل الغربان ترتبط بشدة بالموت



صورة ساخرة رسمها
ج.ج. جراندفيل لمجلة
الحيوانات (١٨٦٦)،
تظهر طاقم العمل في
مشفى، حيث القرش
هو الجراح الرئيسي وهو
يصدر التعليمات إلى
الغربان السوداء والجرذان
والنسور.

في الثقافات حول العالم، وعلى أية حال، علينا أن نتذكر أن طريقة التفكير بالموت دائماً ما كانت معقدة ومتناقضة. فالموت يجلب الرعب والراحة معاً، ويمكن النظر إليه على أنه انقراض، أو لعله انتقال إلى عالم آخر، قد يكون أكثر سعادة. وقد امتدت جميع هذه التناقضات إلى الغربان. حيث أن الأساطير حول العالم تجعل من الغربان أساتذة للأحياء ومرشدين للموتى.

لدى قبيلة مورينباتا وهي قبيلة بدائية في أستراليا، قصة تحكي كيف أن الغراب والسرطان تجادلا مرة حول الطريقة الأفضل للموت. وكما يقوم السرطان بشرح طريقته عشر على حفرة ألقي فيه صدفته القديمة وانتظر بصبر. أخيراً عاد السرطان وهو يحمل صدفة جديدة وأعلن أنه قد ولد من جديد. اعترض الغراب لأن العملية أخذت وقتاً طويلاً ثم سقط نحو الخلف واستلقى بلا حراك، ولم يكن بالإمكان إحيائه ثانية. قد يكون البشر لا يزالون عرضة للفناء ولكن الغراب على الأقل أظهر طريقة سريعة ومحترمة للعبور إلى العالم الآخر.

إن تراث الغربان ثري ومتنوع، ومع ذلك فإن بعض المواضيع تظهر مراراً. في مجال واسع من الثقافات الممتدة من الصينيين إلى هنود السهول، تعتبر الغربان حملة النبوءات. ومثال جيد على ذلك هو التقليد الذي يعرف أحياناً بـ «عد الغربان»، والذي يستخدم مع طيور العقق والغربان على حد سواء للتنبؤ بالمستقبل. ويتم العد عادة عندما تبدأ الغربان بالتحليق فوق الرؤوس. وقد سجل كتاب التراث الشعبي العديد من الأشعار، خاصة في بريطانيا وأمريكا، تربط عدد الغربان التي تراها بالقدر. وأحد أشهر الأشعار المتعلقة بعد الغربان يأتي من سكوتلندا:

واحد يعني الأسف

اثنان يعنيان المرح

ثلاثة تعني الميلاد

أربعة تعني الزفاف

خمسة تعني الفضة

سته تعني الذهب
سبعة تعني سراً لا يجب إفشاؤه
ثمانية تعني الجنة
تسعة تعني النار
وعشرة هي الشيطان نفسه.

تختلف رموز الأرقام كثيراً من نسخة شعرية إلى أخرى.

وفي الوقت الحاضر، ومع أنه قد تم اكتشاف كل زاوية من هذا العالم، وأرسلت آلات تصوير إلى المريخ وما بعده، فإنه ومنذ بدايات القرن التاسع عشر، اشتكى الشعراء الرومانسيون مثل بلايك وكيثس من حالة الشعور بالخيبة التي يعيشها العالم. فلم يعد ممكناً إرضاء شغفنا بالعجائب برحلة إلى أرض غريبة أو حتى، بالنسبة للكثيرين، عبر اكتشاف الزوايا الغامضة من النفس البشرية. إن رمز التسامي لم يعد طائر العنقاء أو الحصان أحادي القرن، على الرغم من أن هذه الخيالات احتفظت بجمالها. فالغراب مازال رمزاً مرجعياً بعيد المنال سواء أكننا نعيش بين حقول الذرة أم بين ناطحات السحاب، ولللغرابان بين الطيور الأكثر تواجداً، ولكنها استطاعت الحفاظ على غموضها رغم أنها ليست من بين الطيور الأندر.

صورة تهكمية أخرى

للفنان ج.ج. جرافيل من

مجلة الحيوانات (١٨٦٦)

وهي تظهر غراباً عجوزاً

تكتب تجارب سفرها.



1- بلاد ما بين النهرين

(تأملوا الغربان: إنها لا تزرع. لا تحصد. ليس لها مخدع. لا مخزن ورغم ذلك،

فإن الله يطعمها)

لوقا ٢٤: ١٢

لم يعد الإنجيل يُقرأ أو يُقَتَّط منه كما كان يحدث منذ بضعة أجيال مضت. ومع ذلك فإن الصور والايقاعات الخاصة بالكتب المقدسة المسيحية واليهودية لا تزال أصداؤها قوية في حضارتنا. فكل مخلوق جاء ذكره في الإنجيل يحتفظ بأهمية عميقة. وقد ذكر الغراب عشر مرات في العهد القديم ومرة واحدة في العهد الجديد، وهناك إشارات إنجيلية أكثر بكثير للخراف التي تعد الحيوان المركزي في الاقتصاد اليهودي، وللليمام، الذي يعتبر منذ القدم رمزاً للحبب الإلهي. ولكن لم يرد ذكر أي مخلوق آخر في مجالات متنوعة أو بغموض رمزي مثلما ورد ذكر الغراب.

كانت الغربان دائماً مخلوقات متطرفة في الخيال البشري، فهي لعب ووقور، فوضوية وواضحة، مقدسة ومدنسة. إن العديد من الغربان سوداء بالكامل ولكن الأساطير عبر العالم تخبرنا أنها كانت بيضاء فيما مضى. وكان الشرق الأدنى دائماً مسرحاً لأحداث كبيرة عن الخير والشر والبهجة وسوء الحظ وكما هو متوقع، كان للغربان غالباً دور مهم.

يحتوي الإنجيل على الكثير من الكلمات العبرية ومنها اوريف (orev) وهي تشير للكثير من أنواع الغربان وقد تكون مشتقة من كلمة إريف (erev) والتي تعني «المساء» لأن اللون القاتم للغربان يشبه لون نهاية اليوم. يقوم الشعْر، إن لم يكن العلم، بتحديد الإشارات الواردة في الإنجيل لطيور مثل الغربان بجمالها البسيط والمرعب في وقت واحد. وعلى هذا النحو تم

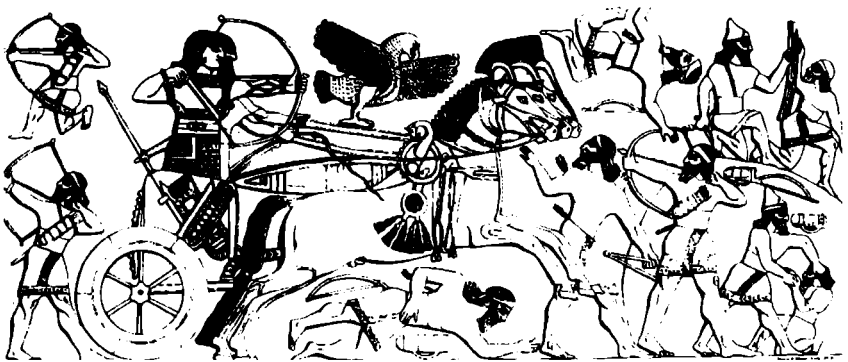
يجسد الغراب العبوس
 في هذه اللوحة الواردة
 في كتاب علمي شعبي
 من القرن التاسع عشر،
 مما يوحي بصراوته. وفي
 الخلفية ينظر الغراب الى
 كبش بدون شفقة وهو
 ينتظر موته.



تفسير تلك الإشارات منذ القديم وحتى اليوم.
 تزدهر الغربان في الأراضي الوعرة مثل التي توجد في الشرق الأدنى،
 لأنها عادة تحجل من البشر، وعندما تغادر الغربان أعشاشها في الجبال فغالباً
 ما يكون ذلك لتتغذى على الجثث. وعلى الرغم من أن منظر الغربان قد
 يكون نذير شؤم بالنسبة للفلاحين فإن قوتها غالباً ما أكسبتها الإعجاب
 أيضاً. فمعظم الغربان اجتماعية بشكل كبير ولكن الغربان المعتزل يسكن
 في الوديان والتلال الصخرية.

تعود قصص الغربان في الشرق الأدنى إلى ما قبل النصوص المقدسة
 لليهودية والمسيحية. وفي الملحمة البابلية المكتوبة بالخط المسماري عن الملك
 نارام سن والتي عثر عليها في مكتبة الملك آشور بانيبال، ورد ذكر لرجال
 برؤوس كالغربان قدموا للغزو من جبال الشمال. وقد ظن الملك في البداية
 أنهم قد يكونوا شياطين ولكنه اكتشف أنهم ينزفون مثل البشر وربما يكون
 الغزاة محاربين يرتدون خوذاً مزودة بقطع واقية على الأنف على شكل مناقير
 الغربان.

في ملحمة جلجامش السومرية. البابلية، يقص علينا رجل منفرد اوت-
 نابيشتم(1). وهو يسبق نوح الوارد في الإنجيل. كيف أنه وزوجته نجيا من



منحوتة آشورية يظهر
وسطها طير، يحتمل
أنه غراب، وقد وصل
ليتغذى على أجساد
القتلى في المعركة.

الطوفان الذي دمر ما بقي من البشرية ببناء قارب. وأنه حين بدأت المياه أخيراً بالانحسار، وصل القارب الى جبل نيبصير (Nimuh)(٢). وقد كان من عادة البحارة في العصور القديمة إطلاق الطيور لمعرفة في أي اتجاه ستحلق، وذلك لتحديد مدى قرب الارض. وبعد سبعة أيام أطلق أوت. نابيشتم يمامة ولكنها لم تجد مكاناً تهبط فيه وعادت الى السفينة، ثم أرسل طائر سنونو ولكنه سرعان ما طار عائداً كذلك. وأخيراً أرسل غراباً بدأ بالأكل والاهتمام بنفسه ولم يعد، وعندها عرف اوت-نابيشتم أن محنته قاربت على نهايتها وقدم أضحية امتنان للآلهة.

تحكى نفس القصة تقريباً عن نوح في (سفر التكوين ٦: ٨-١٢) مع بعض الاختلافات المهمة؛ حيث أن فلك نوح رسا على جبل أرارات(٣). وفي البداية أرسل نوح غراباً ولكنه حلق جيئةً وذهاباً ولم يعد بأبناء عن الأرض، ثم أرسل يمامة لم تعثر بدورها على موطن قدم وعادت الى الفلك. وبعد انتظار دام سبعة أيام أرسل نوح اليمامة ثانية ولكنها هذه المرة عادت بغصن زيتون في منقارها.

لقد تطورت قصة اوت-نابيشتم إلى قصة نوح، وحلت يمامة أخرى محل السنونو الأصلي، والأكثر أهمية أن عدم نجاح الغراب في العودة اتخذ معنىً مناقضاً للأصل، فبدلاً من الإشارة إلى وجود الأرض والتي تشكل

السبب الأكثر منطقية لعدم عودة الغراب فقد أصبحت ترمز للتقصير في أداء الواجب.

يعتقد اليهود ويوافقهم في ذلك الكثير من المسيحيين أن الحيوانات لم تأكل اللحم حتى ما بعد الطوفان، وإلا فلن يكونوا قادرين على الحياة مع في الفلك. ويعتبر الغراب في القانون اليهودي طائراً نجساً، كونه طائراً جارحاً، وذلك موضح في سفر اللاويين(٤) وأماكن أخرى.

ويقضي أحد التفاسير لقصة نوح في التلمود(٥) بأن الغراب لم يُرسل للبحث عن الأرض، بل إنه نفي من الفلك بسبب جريمة ارتكبتها قد تكون مهاجمة كائن آخر أو ربما لمحاولته التزاوج على ظهر الفلك، في حين أن آخرين يقولون إن الغراب لم يعد لأنه بدأ بالاقتتات على جثث الأموات العائمة. ويذكر التلمود أن الغراب قد خاض جدالات حادة مع نوح. وقد اشتكى الغراب في إحدى جلسات محكمة العدل (Sanhedrin)(٦) من أنه قد تم حفظ زوجين من فصيلته في حين أن سبعة أزواج من كل الفصائل التي تعتبر طاهرة قد حُفظت ثم يقترح أنه ربما كان لنوح نوايا جنسية مع قرينته.

ولو فكرنا في الفلك على أنه تجربة عظيمة في تدجين الحيوانات فلربما تسجل قصة نوح مع الغراب عدم قدرة حيوانات معينة على إطاعة الأوامر البشرية. وقد اقترح كتاب التراث الشعبي أن هذه القصة قد تكون في مرحلة ما قصة سببية (تندرج تحت علم الأسباب) حيث كان الغراب أبيض اللون أصلاً ولكن حلت عليه اللعنة لعدم عودته إلى الفلك فأصبح أسود. على أية حال، إن وجدت مثل هذه العقوبة فإن الانجيل لم يذكر أن عقوبة طبقت على الغراب من أي نوع.

لقد أصبحت قصة نوح والغراب بالنسبة لليهود والمسيحيين والمسلمين، نقطة التحول الحاسمة في العلاقات بين البشر والطبيعة، ووفقاً للعديد من النواميس، فإنه بموجب العهد الجديد ليهوه (أي: الرب) فقد الناس القدرة على فهم الحيوانات بعد انحسار الفيضان، ولكن الغربان والحيوانات المتصلة

لوحة المانية تصور قصة
المثل ١٧:٣٠ من سفر
الأمثال^١ من منتصف
القرن الثامن عشر، حيث
نرى في المقدمة شاباً بهزأ
من والديه وفي الخلفية
يظهر المصير الذي ينتظره
وهو أن تنقر الغربان عينيه
بعد موته.

بها وخاصة غراب العققق تمتلك نداءات تشبه التي تصدر عن الأصوات
البشرية. وتقول إحدى الأساطير الواسعة الانتشار في أوروبا إن غراب
العققق لم يسمح له بالدخول الى الفلك لأنه كان يحدث ضجة كبيرة،
وبدلاً عن ذلك فقد وقف على السطح يثرثر باستمرار في حين كانت المدن
تغرق تحت الأمواج. وتقول أسطورة بريطانية أن غراب العققق هو هجين بين
اليمامة الأولى والغراب اللذين أرسلهما نوح ولهذا فلو أنه مزيج من الأبيض
والأسود.

وفي المقاطع التالية من الانجيل تظهر الغربان وكأنها أدوات للرب. فبينما
كان النبي ايليا يختبئ في البراري من الملك أخاب الذي أدين لعبادته صنم
بعل، كان يهوه (الرب) قد أمر الغربان بأن تحضر للنبي الخبز في الصباح
واللحم في المساء (سفر الملوك الأول ١٧:٦). ولكن كيف وماذا أطعمت
الغربان النبي بالتحديد؟ بعض المفسرين العلمانيين اقترحوا أن النبي ايليا
قد استخدم الغربان لتدله على الحيوانات النافقة ولكن هناك الكثير من
المشاكل الجدية من وجهة نظر التقاليد اليهودية في هذه الحالة. وحتى إن
كانت الغربان تحضر له اللحم الميت، فكما ذكرنا سابقاً فإن الغربان وأقاربها
تُصنف بوضوح بين الطيور (النجسة) في الانجيل (سفر اللاويين ١١:١٥)
والأكثر من ذلك فإن الجيف مكروهة بشدة لدى اليهود لدرجة أن من عس
جثة يبقى نجساً حتى حلول المساء (سفر اللاويين ١١:٢٤). فإن كان الطعام
الذي تحضره الغربان يشابه ما تأكله الطيور عادة فهو ليس طعاماً يؤكل، فقام
بعض المفسرين اليهود بحل هذه المشكلة بالقول إن الغربان كانت تحضر
الطعام لإيليا من مائدة الملك يهوشافاط (٧). ولكن كيف عرفت الغربان أي
أطباق الملك كانت طعاماً مباحاً في الشريعة اليهودية؟

بل إن أحد المقاطع في الانجيل أوحى للعديد من الأشخاص أن الرب
يُكن محبةً خاصاً للغربان: (من يهيب للغراب صيده بينما تمنع فراخه الى
الله وهي تحني رقابها جوعاً؟) (سفر أيوب ٤١:٣٨) (٩). ويذكر يالكوت
شيموني Yalkut Shimon، وهو تفسير للتلمود وُضع في القرن الثالث



عشر، هذه المحبة من خلال القصة التي تحكي كيفية تعليم الغراب لآدم وحواء القيام بأول عملية دفن ميت وذلك بعد موت ابنهما هابيل حيث لم يكن أبو البشر وأهمهم يعرفان ماذا يفعلان فجاءهما غراب وقتل رفيقه ثم حفر حفرة في الأرض ودفن الجثة وقام الثنائي البشري بدفن ابنهما كتقليد لما فعله الغراب. وكتعبير عن امتنان الرب لمساعدة الغراب لآدم وحواء فهو يتولى إطعام صغار الغراب حتى ينمو ريشها الأسود، وبعدها يتولى الأبوان هذه المهمة.

ترد الإشارة إلى الغراب في الانجيل كرمز للخراب في بعض الأحيان، حيث يذكر سفر صفنيا(١٠) أنه بعد خراب نينوى «سيسكنها الغراب واليوم» (صفنيا ١٤: ٢) ويذكر سفر أشعيا(١١) أنه بعد خراب آشور ... «تنعق الغراب على عتبات الأبواب» (١١: ٣٤). وكذلك ورد ذكر الغراب على أنها سوط عذاب الرب:

(العين المستهزئة بابيها والمحتقرة لطاعة امها تقوّرها غرابان الوادي)
(سفر الأمثال ١٧: ٣٠)

ولكن الانجيل أيضاً يمنح الغراب روعة خاصة. ففي سفر نشيد الأنشاد(١٢) (٥: ١١) يثني على شعر العريس بأنه (حالك كالغراب). وبهذا تبدو الغراب كأنها تعيد التفاوض باستمرار في علاقتها مع الرب كما يفعل البشر تماماً.

هوامش

- ١ اوت- نابيشتم: بطل الطوفان في ملحمة جلجامش.
- ٢ جبل بين نهر دجلة والزاب الأسفل .
- ٣ جبل الجودي في تركيا.
- ٤ من أسفار الكتاب المقدس. العهد القديم.
- ٥ التلمود: هو الكتاب الذي يحتوي الشريعة اليهودية ويدعي اليهود أن موسى ألقاه من طور سيناء على بني اسرائيل ليحفظه عند هارون ثم تلقاه يوشع ثم البعازر وهلم جرا...
- ٦ هو الاسم التلمودي للمحكمة الدينية اليهودية العليا في أرض اسرائيل خلال فترة الهيكل المقدس وهي تتألف من ٧١ حكيماً.
- ٧ ملك مملكة يهوذا وقد عرف بصلاحه وإطاعته للرب.
- ٨ أحد أسفار الأنبياء، الكتاب المقدس . العهد القديم.
- ٩ أحد أسفار الأنبياء، الكتاب المقدس . العهد القديم.
- ١٠ أحد أسفار الأنبياء الصغار، الكتاب المقدس . العهد القديم.
- ١١ أحد أسفار الكتاب المقدس . العهد القديم.
- ١٢ أحد أسفار الكتاب المقدس . العهد القديم ٢ مصر واليونان وروما.

2. مصر واليونان وروما

كل شيء آل للغربان!

قصة النشوء^(١) (القرن السادس قبل الميلاد)

يعكس تصوير الغرابيات في حضارات المتوسط القديمة تطور المواقف نحو عالم الطبيعة، حيث أن المصريين، الذين لم يقوموا بوضع حواجز قاسية بين عالم الطبيعة وعالم البشر، فكروا بالغربان على أنها ذات عاطفة قوية وروح مرحة. وتابع اليونانيون على هذا المسار ولكنهم في بعض الأحيان كانوا ينظرون إلى الغرابيات بخوف وخشية وضحك عصبى.

نظر اليونانيون إلى الطبيعة على أنها تمتلك قوى هائلة ولا تنضب ويمكن خشيتها أو طلب رضاها ولكن نادراً ما تتم السيطرة عليها. وكانوا دائماً منخرطين في حروب يتوقع الخاسر فيها أحد مصريين: إما أن يُقتل أو يُباع كعبد؛ وأيضاً كان هناك خراب متكرر بسبب المجاعة أو الأوبئة. وكانت الغرابيات غالباً ما تُرى وهي تنقر جثث الحيوانات أو حتى البشر، ولم يكن مرحباً بهم في عالم كانت الحياة فيه شيئاً عابراً بالنسبة لليونانيين، حيث تمثل الغرابيات عالم الطبيعة المثابر حتى في المدن، فهي مخلوقات عصية على سيطرة البشر أو حتى الآلهة.

عبر القرون القليلة التالية، منحت الامبراطورية الرومانية الواسعة في عهد اوغسطس وخلفائه مواطنيها نوعاً من الأمان على الرغم من جميع نزاعاتها الداخلية، وعلى الرغم من الحروب المستمرة التي كانت تنشب عادة عند الحدود الأمامية البعيدة للإمبراطورية. وهكذا جاز للناس أن يفكروا في أنفسهم ليس بالضرورة على أنهم سادة الأقدار ولكن على الأقل في أنهم ليسوا ضحايا يائسين. كان كتاب المأساة (التراجيديا) والشعراء اليونانيون يندبون بانتظام حال البشر، ولكن الرومان تقبلوا تلك الحالة بدون احتفاء

(١) شاعر يوناني من القرن السادس قبل الميلاد.

أو شكوى. وبينما شدّد اليونانيون باستمرار على ضعف الانجازات البشرية فقد اعتقد الرومان أن امبراطوريتهم قد تستمر حتى آخر الزمان. كانت فكرة الرومان عن الطبيعة أقل خوفاً وأكثر رعويةً وتعمقت هذه الفكرة بازدياد تعداد سكان روما حتى وصل الى أكثر من مليون نسمة وحلتّ الاقطاعات الهائلة التي يعمل فيها العبيد محل المزارع الصغيرة. كان الرومان يستطيعون رؤية الغربان بعاطفة كادت أن تكون غير واردة بالنسبة لليونانيين.

غالباً ما تظهر الغربان في مصر وهي تتغذى على الجثث، وبشكل أقل وهي تقتات على الأجساد المنتشرة في ساحة المعركة. وتبدو متوحشة، عادة في شكل يمكن تحمله، وتكاد تكون بشرية ولكنها على عكس طائر أبو منجل أو الصقر مثلاً، ليست سماوية على الاطلاق. إن البرديات الساخرة التي عثر عليها في تورين وتعود الى عصر الرعامسة الممتد بين (١٣٠٧-١٠٧٠ قبل الميلاد) تتضمن صورة غراب يصعد سلماً الى شجرة تين بجناحين مبسوطين في الوقت الذي يجمع فيه فرس النهر سلة من التين من أغصانها. احتفظ المصريون بالعديد من السجلات الدقيقة لتعاملاتهم التجارية ولكنهم كتبوا القليل جداً عن أساطيرهم، ونحن نعلم قصص آلهتهم في المقام الأول من خلال تقارير اليونانيين والرومان. وأورود أيليان Aelian وهو كاتب روماني هيليني من القرن الثاني الميلادي أن قارون الفرعون المصري استخدم غراباً داخناً لنقل الرسائل إلى أي وجهة يشاء.

ووفقاً لهورأبولو^(١) الكاهن المصري. اليوناني من القرن الثالث قبل الميلاد، كان الغراب رمزاً مهماً في مصر، وإن لم يكن ذلك بالضرورة مرتبطاً بالدين. مثلت الغربان الحب المخلص، لأنها وكما لاحظ أهل العالم القديم بدقة، طيور أحادية الزواج. وكتب حورأبولو أنه عندما كان المصريون يرغبون بإظهار الوحدة بين أريس، إله الحرب، وأفروديت، إلهة الحب، كانوا يرسمون غرابين، لأن الغراب دائماً ما يضع بيضتين يفقس منهما ذكر وأنثى يعيشان معاً طيلة حياتهما، ويشرح حورأبولو في كتاباته انه أحياناً يفقس ذكران أو

(١) اسم مزيج من حورس. ابولو وكان من آخر الكهنة المصريين.

انثيان معاً فهما محكومان بحياة العزوبية ولهذا السبب فإن مشهد الغراب
الوحيد يعد نذير شؤم .

ولكن زوجاً من الغربان يرمز الى الزواج في حين ترمز الغربان الصغيرة
الى القلق وعدم الاستقرار بما أن الغراب الأم تطعم صغارها على جناحها.
تتشارك الحمامات سمعة الغرابيات في الزواج الأحادي بالرغم من ضعف
التبرير بالنسبة إليها وعلى كل حال هناك فرق كبير في التأكيد الرمزي
لنوعي الطيور هذين؛ حيث ترتبط الحمامات بالمتالية وغالباً بالحب السماوي
في حين تمثل الغرابيات الزواج بكل واقعيته الأرضية، وبينما تستعمل
الحمامات لترمز للخطوبة تمثل الغربان إتمام الزواج. كتب حورابولو أيضاً أن
الحمامة السوداء هي رمز الأرملة التي تبقى مخلصة لزوجها، على اعتبار



لوحة من العصور الوسطى لا
يعرف تاريخ رسمها بالتحديد
وهي تصوّر زيوس وكاهناته
وغرابين (الحمامات السوداء
من دودونا Dodona)^(١).

(١)- تقع في الشمال الغربي
لليونان وهي موقع نبوءات
منذ ما قبل التاريخ كان
مكرساً للآلهة الأرض
الأم غايا ثم ارتبط بالاله
اليوناني زيوس

ان هذه الطيور تتراوح مدى الحياة وبما أنه لا وجود للحمام السوءاء في الطبيعة عادة فمن المحتمل أن حورابولو كان يشير الى الغراب هنا كذلك. وذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت الحمام السوءاء في مقطع مشهور كتبه خلال القرن الخامس قبل الميلاد

كتب هيرودوت^(١) أن حمامتين سوداوين طارتا من طيبة^(٢) في مصر، اتجهت إحداهما الى ليبيا وطارت الأخرى إلى شجرة بلوط في بستان زيوس في دودونا. وأرشدت الحمامة في ليبيا الناس ليصنعوا مقاماً للإله آمون. وتحدثت الحمامة في دودونا بلسان بشري وأخبرت الناس أن البستان سيكون مكاناً للنبيات. وبحلول الوقت الذي عاش فيه الشاعر هومر أصبحت دودونا أكثر المزارات قداسة في اليونان. تحدث زيوس، إله النماء والخضرة من خلال أصوات أوراق الشجر والتي كانت الطيور تجعل لها حفيفاً وفي النهاية حُجبت أصوات الأوراق والرياح المتقنة بضجيج الزوار الذين أتوا الى دودونا بأعداد متزايدة. وقال الكهنة إن صوت الإله يمكن أن يسمع من خلال أصوات كرات معلقة فوق بركة عندما تحرك الرياح هذه الأجسام الكروية لتضرب الحافة.

اعتقد هيرودوت أن الحمامتين السوداوين كانتا كاهنتين مصريتين بيعتا الى العبودية وكانتا تلقبان بالسوداوين بسبب لون بشرتهما القاتم وبالحمامتين لأن لغتهما كانت تبدو مثل نداءات الطيور. ومع ذلك فإن الغرابيات لها قدرة على إطلاق مجال استثنائي من الأصوات واشتهرت منذ العصور القديمة بقدرتها على تقليد الأحداث البشرية، وهي أيضاً ترتبط بشكل عالمي بالنبيات لذلك فمن المحتمل أنها كانت مصدر الوحي لنبيات دودونا.

ارتبطت الطيور بشكل عام بالنبيات في حضارات اليونان والرومان

(١) الباحث والفاصل اليوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد ويعتبر أول المؤرخين

(٢) مدينة طيبة: مدينة مصرية قديمة اعتبرت لعدة قرون عاصمة مصر القديمة تقع جنوب البحر المتوسط بحوالي ٨٠٠ كم وتمتد على ضفتي النيل.

وربما كانت الغربان تلي النسور فقط في الأهمية. ففي كتاب هومر الأخير
اللياذة يصلي الملك بريام من أجل فأل حسن قبل الذهاب للتفاوض على
فدية جثة ابنه هيكتور الذي قتل على يد أخيل. ومباشرة يظهر نسر أسود
كبير وعرف الملك أن البعثة ستكون بلا جدوى. كان وصف نسر (Aquila
هي الكلمة اللاتينية التي تعني النسر) يستعمل بحرية للإشارة الى طيور
الصيد الكبيرة بما فيها الصقور والنسور. ولا يوجد نسر عادي أسود اللون
تماما وربما كان النسر الأسود غراباً على الأرجح.

كانت الغربان وخاصة الغربان ذوات القلنسوة تعرف بشكل خاص
كرموز للزواج الميمون وفي حفلات الزفاف الأثينية كان الناس يغنون (أغنية
الغراب) على أمل أن يكون الزوجان مخلصين لبعضهما ويبارك اتحادهما
بالأطفال:

السادة الأعزاء، امنحوا ملء قبضة من الطحين للغراب
ابن أبولو أو طبقاً من الطحين
أو رغيماً أو قرشاً أو ما تشاؤون ..(١)

كان الغناء عادة تشبه الترانيم الحديثة ولعل الأطفال كانوا يغنون هذه
الأغنية في بعض الأحيان مقابل هدية صغيرة.

وعلى هذا، فإن الغربان كانت مقدسة لدى هيرا^(١) وكذلك بالنسبة
لنظيرتها الرومانية جونو^(٢). كتب ابولونيوس روديس^(٣) في القرن الثالث
قبل الميلاد كتابه رحلة أرغو^(٤) وفيه يواجه البطل جايسون مهمات شبه
مستحيلة في رحلته للحصول على جزء الصوف الذهبية، وتأتي الإلهات
أثينا وافروديت وهيرا لمساعدته من خلال إيجاد المشعوذة القوية ميديا

(١) ملكة آلهة الأولمب، زوجة وشقيقة زيوس وإلهة الزواج في الأساطير الاغريقية.

(٢) إلهة الزواج وزوجة الاله جوبيتر في الأساطير الرومانية.

(٣) شاعر ملحمي وعلامة ومدير مكتبة الاسكندرية عاش في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد.

(٤) أرغو هو اسم السفينة التي أبحر عليها جايسون والمغامرون لاستعادة الصوف الذهبي.

والتي تقع في حب الشاب. وبعد وقت قصير كان جايسون يسير بصحبة موبسوس Mopsus سيد النبوءات إلى جانب شجرة حور والتي كانت مكان الغربان المفضل. وأرسلت هيرا أحد الطيور ليقول لموبسوس: «من هو هذا المتنبئ المغمور الذي لم يستطع أن يلاحظ ما يعرفه حتى الأطفال، وأن الفتاة لا تسمح لنفسها بقول كلمة حب واحدة الى الشاب الذي يحضر معه مرافقاً؟ ابتعد ايها المتنبئ الأحمق» (الكتاب الثالث، الأسطر ٩٢٣-٥١). وفهم موبسوس فوراً أن هيرا قد قامت بترتيب لقاء بين ميديا وجيوسون وحدهما وانسحب بسعادة. وبمساعدة ميديا كان جايسون قادراً على مراوغة التنين الذي يحرس جزءة الصوف الذهبية والهرب بالجائزة نحو السفينة.

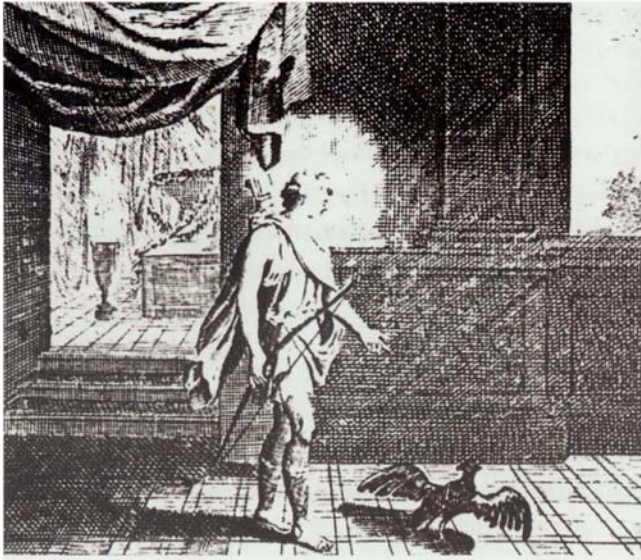
إن ازدواجية الثقافة اليونانية. الرومانية فيما يخص الغربان يُعبر عنها أيليان^(١) Aelian أحسن تعبير فقد كتب أن الغربان تربط فيما بينها علاقة حب قوية وأبداً لا تشترك في علاقات جماعية. لكن وجود الغراب الوحيد في حفل زفاف كان يعتبر لهذا السبب بالتحديد فال شؤم مما يوحي بأن أحد العروسين سيموت قريباً.

ووفقاً للأساطير والخرافات لم تكن الغرابيات على وفاق تام مع الآلهة لأنها مشهورة بسرقة اللحم الذي يترك على المذابح. وبحسب إحدى خرافات ايسوب والتي يقصها بابرئوس Babrius اليوناني أن غراباً مريضاً طلب من أمه أن تصلي للآلهة من أجل شفائه ولكنها أجابته بأنه ليس من المحتمل أن يقوم أحد من الآلهة بمساعدة ابنها بما أنه قد سرق منهم جميع القرابين التي قدمت اليهم.

في النهاية حل الطاووس محل الغراب في خدمة هيرا. وفي إحدى الخرافات الشعبية والتي كان أول من قصها فايدروس^(٢) Phaedrus، أن

(١) كلاوديوس أليانوس: كاتب ومعلم روماني عاش في الفترة من ١٧٠. ٢٢٥ ق.م أتقن اليونانية وكتب بها.

(٢) كاتب روماني اعتنى بكتابة الخرافات عاش في الفترة من ١٥ ق.م حتى ٥٠ ميلادي، عُرف على أنه أول كاتب يقوم بترجمة الخرافات اليونانية الى اللاتينية.



الغراب الأبيض في الأصل
وقد حوله أبولو الى اللون
الأسود بسبب أخبار سيئة
نقلها له.

هذه الصورة من النسخة
الفرنسية الصادرة في القرن
السابع عشر لقصيدة
أوفيد^(١) التحولات^(٢)
.Metamorphoses

(١) فيبلوس أوفيدوس ناسو:

شاعر روماني عاش في
الفترة من ٤٣ ق.م وحتى
١٧ ميلادي

(٢) قصيدة قصصية مؤلفة من
خمسة عشر كتاباً تحكي
قصة الخلق وتاريخ العالم.

غراب زيتون التقط بعض ريش طاووس ليزين نفسه به ثم تخلى عن جنسه
وحاول الالتحاق بسرب الطواويس.

فقامت الطيور بمهاجمته فوراً وجردته من الريش واستمرت بنقر الغراب
المسكين حتى طار بعيداً وحاول الانضمام ثانية الى بقية الغربان ولكنهم لم
يقبلوا به. وتصيف العديد من روايات هذه الخرافة نصيحة اخلاقية بأن على
المرء ألا يطمح الى الارتقاء فوق موقعه في الحياة.

وكذلك كان الغراب مقدساً لدى أبولو، إله الشمس والموسيقى الذي
اتخذ شكل غراب أو صقر في إحدى المرات عندما فرّت الآلهة إلى مصر
لتختبئ من الوحش تيفون Typhon. وبالرغم من ذلك فإن العلاقات بين
أبولو والغربان لم تكن تبدو في العادة متناغمة جداً. تأتي الكلمة اليونانية
المرادفة للغراب corone كورون من اسم حسناء كانت عشيقة أبولو،
وبحسب الرواية التي يقصها ابولودوريس Appolodorus فإن كورونيس،
كما كانت تدعى، أقامت علاقة مع أبولو ولكنها تزوجت من شاب يدعى

إسكيس Ischys، وقام الغراب، الذي كان أبيض اللون حينها، بإبلاغ أبولو نبأ الزواج فحوّل الاله الغراب الى اللون الأسود في غمرة غضبه ربما من خلال شعلة نار أصابته حتى احترق ريشه. بعدها قام أبولو بحرق كورونيس حتى الموت ولكنه أنقذ طفلاً كان في رحمها، أصبح فيما بعد الطبيب العظيم اسكليبيوس Asclepios. وتهدف القصة إلى شرح الجانب المزدوج للغراب كونه طائراً يقوم في الصباح بتحية الشمس بندائه. ريشه في لون الليل.

إن حقيقة أن الغراب يحمل اسم الحسنة يوحي أنه في الروايات المبكرة لهذه القصة تحولت الفتاة نفسها الى غراب. ومن المهم أن نلاحظ أن الفتاة قُتلت ليس بسبب اقامتها لعلاقة بل بسبب زواجها من بشري. وربما كان الإغريق في إحدى الفترات يعتبرون زوج الغراب على أنهما كورونيس واسكيس. وعلى أي حال فإن هذه إحدى القصص الأولى حول حسنة تزوج شخصاً أدنى منزلة منها مفضلة الحب على الزواج السياسي لأجل المنصب والنفوذ.

وروى أوفيد في قصيدته فاستي⁽¹⁾ Fasti رواية أخرى مفادها أن إله الشمس لم يكن راضياً عن خادمه الغراب. وبينما كان أبولو يحضر لوليمة من أجل جوبيتر، أرسل الإله غراباً ليحضر الماء من الينبوع، وأخذ الغراب دلواً وطار في الهواء ولكنه لمح شجرة تين محملة بالثمار فهبط الغراب وتذوق التين ووجد أن الثمار ليست ناضجة بعد فجلس هناك حتى نضجت ثمار التين وأكل حتى شبع ثم فكر بواجبه نحو الإله. والتقط ثعبان ماء وطار عائداً إلى أبولو وقال إن الثعبان اعترض مسار الجدول. واكتشف أبولو الكذبة وأعلن أنه على الغراب ألا يشرب من ماء الينبوع حتى تنضج ثمار التين على الأشجار ولهذا تتخاطب الغرابان بصوت خشن من العطش. ثم قام أبولو بوضع الغراب والدلو والأفعى في دائرة البروج ليُذكر الناس بحماقة الغراب.

إلا أن القليل من الأساطير اليونانية جعلت كورونيس وصيفة أتيانا، إلهة

(1) قصيدة لاتينية تتناول التقويم الروماني وقد كتبها أوفيد في منفاه في توميس قرب نهاية حياته.

الحكمة والحرب. وقد روى الجغرافي الروماني باوسانيوس^(١) Pausanius في كتابه الطريق الى اليونان أن مدينة كورون اليونانية أقامت تمثالاً لأثينا وهي تحمل في يدها الممدودة غراباً بدلاً من البومة المعتادة. وفي نسخة بديلة لقصة كورونيس أعاد روايتها أوفيد في كتابه التحولات Metamorphoses جعلها فتاة شابة جميلة لها العديد من الخاطبين ثم رآها إله البحر وافتتن بها ولكنها رفضت محاولاته التقرب منها. وعندما بدأ الإله بملاحقتها تضرعت الحسنة إلى مينرفا، نظيرة أثينا الرومانية وفجأة وجدت الفتاة نفسها ترتفع فوق الأرض، فقد حولتها الإلهة الى غراب.

ومع ذلك فإن أغلب الكتاب تحدثوا عن الخصومة بين الغراب وبين أثينا. وفي إحدى الحكايات، قامت الإلهة بزيارة ورشة هيفستوس إله الحدادة فحاول الاعتداء عليها. صدت أثينا محاولاته ولكنها لاحظت أن مهاجمها قد ترك بعض السائل المنوي على إحدى ساقها، مما أثار امتعاضها، فقامت بإزالته بقطعة من الصوف وألقته على الأرض. أخصب هذا المنى الأرض الأم فأنجبت طفلاً يدعى إريشثونيس^(٢) Erichthonius وقامت أثينا بإخفاء الطفل في سلة مغطاة عهدت بها إلى ثلاث أخوات. لكن الفضول تملك الشقيقة الكبرى وفتحت السلة فأصابها الرعب عندما وجدت طفلاً تحيط الأفاعي بجسده. ونقل الغراب ما حدث إلى أثينا التي ناصبته العداة منذ ذلك الحين. ربما تشير الحكاية إلى أن صرخة الغراب هي نوع من الإعلان عن قدوم الصباح وكشف أسرار الليل.

في إحدى حكايات ايسوب الخرافية، قدم غراب أضحية الى الإلهة أثينا ودعا كلباً الى وليمته. وأشار الكلب أنه لا جدوى من الأضحية على اعتبار أن المعبودة تكره الغراب على أي حال. فأجاب الغراب «أعرف أنها لا تحبني ولكنني أضحي لها لعلها تتصلح معي»^(٢). ومثلما تقوم الغربان بأكل الأضحيات المقدمة للإلهة فإن الغربان أيضاً قد تقوم بالتهام أجساد

(١) رحالة وجغرافي يوناني عاش في القرن الثاني الميلادي

(٢) اسمه يعني المشاكل المولودة من الأرض.

الرجال الطريفة على الأرض. وتقص إحدى الخرافات اليونانية أن رجلاً كان ذاهباً إلى الحرب وسمع نداءات الغربان المزعجة تتعالى فوق رأسه فتجمد من الخوف والتفت إلى الطيور وقال «تستطيعون أن تصيحوا بأعلى ما تستطيعون ولكنكم لن تجعلوا مني طعاماً لكم» (٣). وفي الكوميديا التي كتبها ارسطوفانيس Aristophanes بعنوان الطيور تستخدم إحدى الشخصيات عبارة «ليكن مصيرك إلى الغربان!» (السطر ٢٨). وهذه العبارة هي أصل اللعنة المشهورة «ليكن مصيرك إلى الكلاب!» والتي كان لها في ما مضى معنى أكبر مما تحمله اليوم. فقد كانت تعني الموت وحيداً حتى تلتهم الكلابيات والغربان جثث هؤلاء الذين لم يُدفنوا فوراً.

لكن الناس لم يستطعوا سوى ملاحظة أنه وبدون مساعدة كبيرة سواء من الإنسان أو الآلهة فإن الغربان تزدهر في المدن. وكانت الغربان ترمز بالنسبة لليونان والرومان لطول العمر. وهذا الترابط ليس وهمياً بالكامل على اعتبار أن العديد من الغربان يمكن لها أن تحيا ٢٠ عاماً أو أكثر في حين أن الغربان السوداء يمكن أن تحيا حتى تتجاوز الثلاثين. وتذكر فقرة مقتطفة من عمل إيسود الضائع نقلها بلوتارك وهي بعنوان وصايا شيرون أن الغراب

جعلت الحياة المديدة التي
تتمتع بها الغربان منهم
شعارات نبالة مهمة، كما
يبدو ذلك في درع هاري
هولمز-تارن. حيق يقرأ
الشعار اللاتيني: (كن
مفعماً بالحياة في الأبدية).



يعيش حياة تسعة أجيال من الرجال المعمرين. وأضاف أن حياة الطيبي تبلغ أربعة أضعاف حياة الغراب ولكن الغراب الأسود يعيش حياة أطول بثلاث مرات من حياة الطيبي. وإذا افترضنا أن الرجال المعمرين يعيشون ٧٠ عاماً فإن عملية حسابية بسيطة توضح لنا أن حياة الغراب تعادل ٦٣٠ عاماً بينما يعيش الغراب الأسود ٧٥٦٠ عاماً كاملة.

وفي حوارٍ ممتعٍ كتبه بلوتارك عادة ما يُعنون «حول استخدام العقل لدى الحيوانات اللاعقلانية» يحاول أوديسيوس، وهو رجل مشهور بفتنته، عبثاً مجادلة خنزير يدعى جريلوس حول تفوق الجنس البشري. وعندما يدعى البطل اليوناني أن البشر أظهروا أخلاقيات أعلى يجيبه الخنزير بهذا الجواب المعاكس: «بالنسبة لما تتمتع به بينلوبى زوجة أوديسيوس من قدرة على قهر النفس، فإن أعداداً لا تحصى من الغربان التي تنعب ستقع من الضحك والازدراء، لأن أي غراب يخسر زوجه يحيا وحيداً وليس لوقت قصير بل ما يعادل حياة تسعة أجيال بشرية». في حين أن حورأبولو قدّر حياة الغراب بتواضع أكثر بحوالي ٤٠٠ سنة. وعلينا ان نتذكر أنه في عصر كان معدل الحياة المتوقع يتجاوز بقليل العشرين عاماً فإن طول العمر كان قيماً جداً ويرتبط بالحكمة بشدة.

في القرون الاولى للحضارة اليونانية. الرومانية كانت النبوءات التي تعتمد على الطيور بديهية، وفيها يكون الظهور الدراماتيكي لحياة الطيور في اللحظات الحاسمة رسالة من القدر. كتب بلوتارك عن حياة الإسكندر العظيم أن الغربان أو الغربان السوداء أرشدت الفاتح المشهور وجيوشه إلى معبد آمون في مصر حتى أن الطيور كانت تصيح عندما يتوه الجنود حتى ترشد من انعزل منهم الى طريق العودة الى الجيش. وعلى الرغم من ذلك فإن الغربان فيما بعد تكهنت بموت الاسكندر عندما اقتتل سربان من الغربان بجانب أسوار بابل وسقطت عدة غرابان عند قدميه.

إلا أن النبوءات أضحت تدريجياً مسألة قواعد معقدة. فقد كتب المسرحي الروماني بلوتوس كوميديا الحمير في القرن الثالث قبل الميلاد وورد

فيها أن رجلاً واجه قراراً صعباً فقال «لدي نبوءاتي وبشائري: ستقودني الطيور إلى حيث أرغب! نثار الخشب والغراب إلى اليسار والغراب الأسود وبوم الحظائر إلى اليمين، وهم يقولون «امض إلى الأمام!» (٤). بعد حوالي قرنين من الزمان أصبح الرومانيون متشككين بازدياد، وسأل شيشرون بشكل بلاغي نوعاً ما في دو ديفيناشون (حول الكهانة) لماذا يُعتبر الغراب الذي يطير نحو اليمين فالأحسناً، بينما الغراب الذي يطير إلى اليسار علامة على سوء الحظ.

هناك العديد من الإشارات إلى الغرابيات في الأدب اليوناني القديم، ولكن من المستحيل معرفة أي الفصائل هي المعنية بذلك تماماً. وغالب الأمر إن اليونانيين أنفسهم لم يحاولوا حتى استخدام التسميات بانتظام، على الأقل ليس قبل المحاولة الأولى لأرسطو لدراسة الحيوانات بشكل علمي. وغالباً ما تترجم كلمة كورون korone على أنها غراب، في حين أن كلمة korax تترجم على أنها غراب أسود. وهي نفس المعاني التي تحملهما هاتان الكلمتان في اليونانية اليوم. يشير أرسطو في كتابه تاريخ الحيوانات Historia Animalium إلى الغراب على أنه رمادي جزئياً بما يوحي بأنه كان يفكر في الغراب ذي القلنسوة (كورفوس كورون كورنيكس) Corvus corone cornix. ولكن حينها، ماذا عن الغراب أكل الجيف والذي لم يبدو أن أرسطو ذكره على الإطلاق؟ إن مجاله لا يشمل اليونان ولكن لا بد أن المسافرين كانوا يعرفون هذا الطير.

ذكر أرسطو أيضاً أن كلاً من الغراب الأسود (korax) والغراب (crow) كانا طيوراً تفضل العيش في المدن، وكلاهما قد يجذب للبقايا التي يتركها البشر، ليس فقط للأصحيات ولكن للفضلات أيضاً. ولا تزال الغربان اليوم كما في العصور القديمة قادرة على الازدهار في المدن وضواحيها، مثلها مثل القوارض. ويمكن العثور على الغربان في أي منطقة صغيرة تحتوي أشجاراً وعشباً وهي تظهر إبداعاً لا نظير له في نقر أكياس القمامة لفتحها، وتوجد الغربان السوداء في المناطق المدنية كذلك، على الرغم من أن القليل

من الناس يشعر بوجودها. إنها تخجل من البشر ولكن المباني المرتفعة تشابه مساكنها الجبلية، وغالباً ما تقيم أعشاشها على الأسطح. ومن غير المحتمل أن يكون الغراب الأسود قد تجنب الاحتكاك بالبشر بين المباني الصغيرة لليونان القديمة ومن الممكن أن تكون كلمة «korax» لا تسمي الغراب الأسود فقط ولكن أيضاً الغراب أكل الجيف وربما غراب الروك فجميعها سوداء.

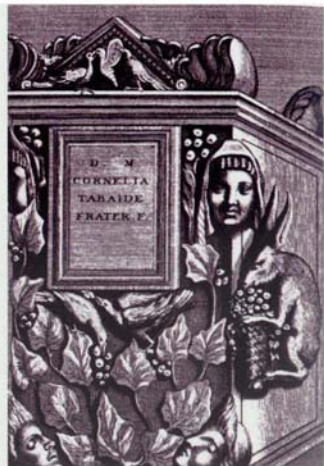
كان كتاب ارسطو تاريخ الحيوانات Historia Animalium أول كتاب علمي يتحدث عن علم الحيوان وكان في أغلبه دقيقاً على نحو لافت للنظر. على الرغم من أنه تضمن خرافات معينة مثل الفكرة التي تقضي بان الماعز تُصاب بالعمى بعد أن ترضع منها طيور السُبد nightjars. ولاحظ الكاتب بحرص أن الغربان تعتني بصغارها لفترة أطول بكثير مما تفعل أغلب الطيور، وتستمر الرابطة بين الآباء والأطفال حتى بعد أن تتعلم الصغار الطيران.

ومع ذلك كانت لغة الكتاب مجازية وملونة أكثر بكثير من العلماء المعاصرين، حيث فكر أرسطو بالفصائل المختلفة على أنها حلفاء وأعداء كما يفكر بالممالك البشرية. ولاحظ أرسطو أن الغراب كان صديقاً للبلشون (مالك الحزين) ولكنه عدو لليوم، حيث أن الغراب يأكل بيوض اليوم في وضح النار عندما لا يستطيع اليوم الرؤية بوضوح بينما يقوم اليوم بأكل بيوض الغراب في الليل. أكد علماء الطيور المعاصرون أن الغربان واليوم تهاجم بعضها بعضاً، ولكن الوصف المبالغ فيه والذي استعمله أرسطو سيُلهم لاحقاً رواة الحكايات مثل إلهامه للعلماء على حد سواء.

أحياناً، كان الرومان يفكرون في الحيوانات بما فيها الغرابيات بكثير من الوله، وكتب بليني⁽¹⁾ «دعونا نقدم الامتنان الواجب للغراب» (5) ومضى في حكاية الغراب الذي فقس على سطح معبد مكرس لكاستور وبولو. وطار الى دكان اسكافي حيث رحب صاحب الدكان بالطير على أنه مبعوث من

(1) مؤرخ روماني عاش بين 23-79 م. وهو صاحب كتاب التاريخ الطبيعي.

ضريح روماني تظهر فيه
الرغبة في الراحة في الحياة
القادمة ممثلة بمشهد ريفي
تقليدي يُظهر الغراب وهي
تنقر عناقيد العنب.



الآلهة. وخلال حياته بين البشر بدأ الغراب بالتحدث مثلهم وكان يطير كل يوم إلى المنتدى ويحيي الامبراطور تيبيريوس باسمه، ثم يحيي قادة جيشه والعامّة من الحضور. وأصبح الدكان الذي كان الغراب يعيش فيه مشهوراً جداً حتى أن مالك دكان منافس قتل الطائر في غمرة غضبه، فقتل المواطنون الثائرون المالك وأقاموا للغراب جنازة مهيبّة حضرها حشد كبير تقدمهم عازف ناي وحمل عبّيد اثيوبيون بحزن النعش المغطى على أكتافهم.

نظر شعراء روما بحنين إلى الزمن الماضي عندما كان البشر أنقياء من الطمع وعاشوا في تناغم مع باقي العناصر. ولعل أكثر العبارات شهرة في ملحمة فيرجيل العمل في الأرض Georgics حول هذا الشوق الرومانسي حيث كتب المؤلف بولع عن غراب ينعب متنبئاً بالمطر. وكتب سويتونيوس^(١) عن حياة الامبراطور الروماني دوميتيان أن غراباً أقام في أعلى نقطة من تل الكابيتول ولم يكن قادراً على قول عبارة: هذا حسن، فقال: هذا ما سيكون (erit). (٦) وفهم الناس أن معنى هذا هو أن أوقاتاً أفضل ستحل

(١) مؤرخ روماني عاش في أيام الامبراطورية الرومانية.



منحوتة رومانية تظهر
ميرثاس، «الشمس التي
لا تقهر» يضحى بشور
كبير ليعيد تجديد العالم
بينما الغراب ينظر اليه.

قريباً، وأثبتت النبوءة صحتها، حيث سرعان ما قتل دوميتيان الذي بدأ يزداد
فساداً وقسوة وخلفه سلسلة من الحكام الصالحين.

فهم الرومان نداء الغراب على أنه (كراس cras) وهي كلمة لاتينية
تعني الغد، وتم تفسيره على أنه تعبير عن الأمل الأبدي. كتب الشاعر
الروماني تيبولوس، وهو من الشعراء الغنائيين الأوائل، «قبل الآن كنت
سأنهي معاناتي بالموت، ولكنني وجدت أن الأمل يبقى شعلة الحياة، ويهمس
بأنه في الغد ستتحسن الامور». على الرغم من أن المؤلف لم يقرم بذكر الطير
بشكل واضح إلا أن النداء (غداً) (cras) بدأ أنه يجعل من الغراب تجسيداً
للأمل (spes).

ووجد الرومان أن القدرات اللغوية لغراب العقق أكثر إبهاراً من تلك
التي لدى الغربان والغربان السوداء، وكتب بيليني أن بعض طيور العقق
لم تقم بتكرار كلمات محببة فقط بل أحببتها وتأملت باستمرار في معانيها.
وإذا فشل غراب العقق في استيعاب مثل هذه الكلمة فقد يموت من خيبة
الأمل. وإذا كان الغراب الأسود محارباً فإن غراب العقق علامة ملتزم .



منحوتة رومانية تظهر
ميثراس ينظر وراءه
نحو غراب بينما يقوم
بالتحضير للتضحية بثور
لتجديد العالم. وهذا
التمثيل ليس معتاداً فهو
يظهر غرابين بدلاً من
الغراب الواحد المعتاد،
ربما للإيحاء بالخصوبة.

وبينما امتص الرومان حضارات الشعوب التي قهروها ازداد تنوع وتعقيد التراث الشعبي الخاص بالحيوانات مثل الغربان. وقصّ بيليني حكاية رجل اسمه كراتس مونوسوسوس ذهب الى الغابات والغربان تجثم على كتفيه وقمة خوذته، وهي الطيور التي كانت تستخدم في الصيد (كالصقور). وذكر الروماني المثقف أنّ روح رجل يدعى أريستياس شوهدت تطير خارجة من فمه على هيئة غراب أثناء نومه .

كانت الغربان في الديانة الفارسية القديمة تعتبر تجسيداً لإله المعارك المظفرة، فيريثراغانا، وكان ريش الغربان تائم شائعة. وأصبحت أخوية «الغربان» أول الشعائر الاستهلاكية السبعة في ديانة ميثراس، التي نشأت أصلاً في بلاد فارس، وكانت شائعة بشكل خاص بين الجنود وأصبحت المنافس الرئيسي للمسيحية في القرون الأخيرة للإمبراطورية الرومانية. وكان ميثراس يعرف باسم (الشمس التي لا تقهر) وكان يرتبط بأبولو على نطاق

واسع . فقد كان ميثراس يشترك مع الإله الشمسي الإغريقي-الروماني في صلته بالغربان . وفي الطقوس السرية، كان الناس يتنكرون بهيئة الغربان والأسود ويرقصون حول مذبح تحت الأرض .

وكان على ميثراس أن يذبح ثوراً ضخماً عند نهاية العالم، حتى يقوم بتجديد الأرض . ويقوم كلب بلعق دم الثور، في حين يقوم ثعبان بالامسك بنخفيات الثور ويبقى الغراب الذي توضع بين ميثراس وبين الشمس متفرجاً . وستؤدي التضحية بالثور إلى تغذية الحياة وفي بعض الأحيان يتبرعم الاقمح من دم الثور . والغراب الذي كان فيما مضى محتقراً لسرقته من الهياكل عاش أكثر من الآلهة القدماء وأصبح مرافقاً للرب .

هوامش

- ١ بولارد، جون الطيور في الحياة والأساطير الاغريقية (نيويورك ١٩٧٧)، الصفحة ١٧٩ .
- ٢ بابر يوس. فايدروس، ترجمه بن إيدوين بيرى (كامبردج رسالة ماجستير ١٩٦٥) الصفحة ٤٤٦ .
- ٣ ايسوب، الخرافات الكاملة، ترجمها ودققها أوليفيا وروبرت تيمبل (نيويورك ١٩٩٨) الصفحة ٣٧
- ٤ كوميديا الحمير، لبلوتو، ترجمة بول نيكسون (كامبردج، رسالة ماجستير ١٩٦١) (الكتاب الاول، الاسطر ٢٥٩-٦١).
- ٥ بليني، التاريخ الطبيعي، ترجمة هـ. راكهام و.هـ... وآخرين (كامبردج، رسالة ماجستير، ١٩٥٣)، المجلد العاشر، الكتاب العاشر، الفصل التاسع، الجزء ١٢١ .
- ٦ سوستونيوس، ترجمة ج.سي. رولف (كامبردج، رسالة ماجستير ١٩٩٧) الكتاب الثالث والعشرون، القسم الثاني .
- ٧ كاتولوس/تيولوس / بيرفيجيليوم فينيريس، تدقيق ج.ب. جوولد، ترجمة جي. بي. بوستغايت (كامبردج، رسالة ماجستير، ١٩٦٢) الكتاب الثاني، الاغنية السادسة، الأسطر ١٩-٢٠ .

3- العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا

وقال: وإلا ستشقق حتماً، يا جيمس جوتز، وبعد ذلك
ستتقر الغربان عظامك عالياً فوق المشنقة
كاتب مجهول، «جيمس جوتز في خليج بوتاني»

ذكر المؤرخ الروماني ليفي^(١)، والذي ينحدر من سلالة السلط^(٢)، أن رجلاً غالياً^(٣) ضخماً دخل الى معسكر الجيش الروماني وتحدى أي رجل ليلاقيه في معركة منفردة. وقد هال حجم الغريب وجسارته أغلب الجنود، ولكن شاباً من التريبون^(٤) يدعى ماركوس فاليروس قبل التحدي.

وبينما كان القتال على وشك ان يبدأ، حظ غراب على خوذة فاليروس ونظر نحو الغالي. وعندما أصبح المتنافسان داخل مدى المبارزة، نهض الغراب وهاجم الغالي وضربه بجناحيه ومزقه بمخالبه وأثار في نفسه الفزع. وسرعان ما قُتل المتحدي وطار الغراب نحو الشرق. وانتعش الرومانيون وفازوا بالمعركة الناشبة حيث انهم كانوا مقتنعين أن آلهة ما قد أرسلت الطائر. وحمل التريبون اسم فاليروس كورفوس أي «فاليروس الغراب».

من هي الآلهة التي أرسلت الغراب؟ كما رأينا من قبل، ارتبط الغراب في بعض الاحيان بجونو ومينرفا وابولو ولكن لم يكن له علاقة بالمعارك. إن ارسال طائر كهذا إلى معركة يبدو من صفات العديد من آلهة السلط، وخاصة إلهتي المعارك الايرلندية، بادبا وموريغان. وقد تم العثور في مدينة سيوم في رومانيا على خوذة تعود للسلط من القرن الثالث قبل الميلاد

- (١) تيتوس ليفيوس، (٥٩ ق.م. ١٧ م)، مؤرخ روماني كتب تاريخ روما العظيمة في ١٤٢ مجلداً منذ إنشائها في عام ٧٥٣ ق.م.
- (٢) أقوام عاشت في أوروبا قديماً
- (٣) من قبيلة الغال سكان فرنسا الأصليين.
- (٤) التريبون في التاريخ الروماني هم المدافعون عن الحقوق العامة.

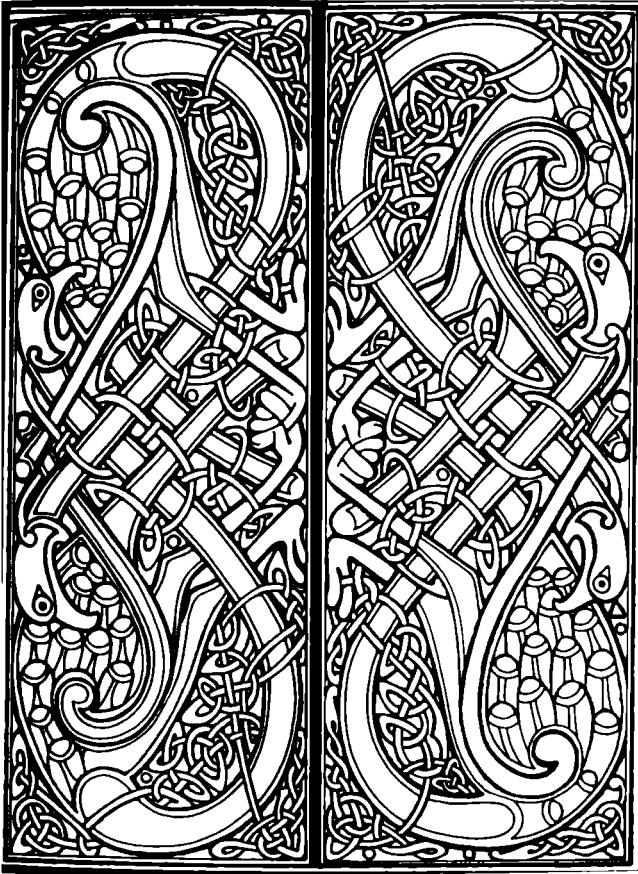
هذه الصورة مأخوذة من
The Book of Kells
وتظهر الأحرف
التزيينية طيوراً وحيوانات
ملتفة على بعضها، وقد نُفذت
في أيرلندا في أواخر القرن
الثامن أو أوائل القرن التاسع
الميلادي. لكن لا يمكن تحديد
المخلوقات الظاهرة فيها على
الرغم من بعضاً من هذه
الطيور قد تكون غرباناً.



وفي أعلاها صورة غراب بجناحين معلقين على الخوذة. هذه الاجنحة كانت ترفرف لدى دخول المحارب الى المعركة، حتى أن المرء ليحسبهما طيراً حقيقياً مثل ذلك الطير على خوذة التربيون الروماني. كما قد تكون قصة فاليروس كورفوس حكاية سلتية تبناها الرومان فيما بعد، فقد كان الجيش الروماني يتألف بشكل كبير من الأجانب الذين قد يُمنحون حق المواطنة في النهاية لقاء خدماتهم، ومن المحتمل جداً أن يكون فاليروس نفسه واحداً من السلت.

أخذ الرومانيون ما هو أكثر من الجنود من الشعوب التي حكموها، وعلى الرغم من أنهم أنتجوا كماً هائلاً من الأدب إلا أن الثقافة الرومانية عانت من فراغ روحي، مما اضطرّ الإمبراطورية الرومانية إلى أن تتوسع باستمرار ولكنه أيضاً دفع الرومان إلى تبني الممارسات الدينية للمحكومين كما لو أنها تخصهم. بمن فيهم المصريون واليونانيون والفرس والسلت. حتى أنهم صوروا إلهة السلت إيبونا⁽¹⁾ على النقود الرومانية وهي تمتطي صهوة حصان بشكل

(1) من ألهة السلت وتمثل انتصار الخير على الشر.



هذه الصورة مأخوذة من
كتاب The Book of
Kells وتظهر الأحرف
التزيينية طيوراً متشابكة،
وبالرغم من أن الأجساد
المتطاولة لهذه المخلوقات
توحي بأنها إوزات إلا أن
رؤوسها تشبه رؤوس الغربان.

جانبي. كان الرومانيون يعتبرون عادةً السلت والألمان من البرابرة، مثلهم
في ذلك مثل اليونانيين، ولكن الرومان أيضاً كانوا معجبين بحوية أولئك
الأقوام البدائيين.

ربما لم ينتج سكان أوروبا الشمالية ثقافة أدبية مثل تلك التي لدى
اليونانيين والرومان، ولكن فنونهم التصويرية تعرض تصميمات منحنية

ترتكز على أشكال الحيوانات والنباتات وتتمتع بحيوية تشبع الحواس إلى درجة لم تصل إليها الحضارات الأكثر عقلانية من حضارات المتوسط إلا فيما ندر. وبالنسبة للرومان، تعتبر الحيوانات غالباً رموزاً أو علامات، ولكن لها في الثقافات السلتية. الألمانية استقلالية واقعية أكثر. فقد تكون حكيمة أو قوية بطريقتها الخاصة وليست ببساطة تعاويز للألهة المجسمة. لم يُسجل الأدب الذي وصل إلينا من أقوام السلت والشمال إلا بعد انقضاء فترة لا بأس بها من العصور الوسطى، ولكنه مليء بقصص وآلهة تعود إلى العصور القديمة. وهذا الأدب، على عكس أدب اليونانيين والرومان، يبدي اهتماماً ضئيلاً بالمجردات، ولكنه معقد جداً من الناحية العاطفية. وهو يشابه أغلب الأدب الجديّة من العالم القديم في كونه مأساوياً (تراجيدياً). ومع ذلك، نجد أن رؤيته المأساوية (التراجيدية) غالباً ما تُخرج بالفكاهة، وخاصة في الأدب الأيرلندي. ويخلط الأدب القديم لشمال أوروبا

تصوير لغراب في كتاب سفر
المزامير
Alphonso من القرن الثالث
عشر. وعلى الرغم من
جمال رسمها إلا أن الطيور
في هذه السفر تبدو ثابتة
بشكل غريب، وربما يعود
ذلك إلى أن الرسام سعى
لتمثيل المشاهد من منظور
الأبدية.



بين الواقعية الحازمة والسحر المتطرف والمبالغة الساخرة بطريقة تشابه نوعاً ما الأغنيات التي يغنيها الأيرلنديون في العصور الأحدث عندما يحتسون الشراب.

تُصنف الغربان والفيلة بين الحيوانات القليلة التي غالباً ما يبدو أن لديها حساً بالفكاهة مما يتعارض مع ريشها الداكن. ومن الطبيعي أن تكون الغربان من أكثر الحيوانات تعقيداً وإثارة للاهتمام في هذه الحكايات النابضة بالحياة. ففي القصص الملحمية للفايكنغ والسلت والساكسون، تكمن الغربان والغربان السوداء تقريباً بشكل دائم في مكان ما في الخلفية وتُسمع نداءاتها المشؤومة في اللحظات المهمة.

ارتبطت الغربان أو الغراب الأسود بشكل خاص بأودين، الإله الأسمى لدى الفايكنغ، والذي كان يُدعى في بعض الأحيان بلقب (ملك الغربان)، وكان له غرابان يجثمان على كتفيه ويدعيان (هوغين) أي الفكر و(مونين) أي الذاكرة. في قصيدة حكايات جريمير «Grimnir» من الشعر الشمالي إيدا Edda، يقوم أودين بزيارة ملك القوط جيرود، متنكراً بقتاع أزرق، وذلك ليختبر ما عُرف عن الملك من استهزاء بقوانين الضيافة. فاعتقل الملك جيرود أودين وعلقه على شجرة بين نارين، وبينما كان يُعذب، أخبر أودين عن الجنة والأرض، وقال:

هوغين ومونين يطيران كل يوم
فوق العالم الواسع؛
وأخشى ألا يعود هوغين
ولكنني أقلق أكثر على مونين(١)

هذا هو الخوف على العالم من أن ينحدر نحو الفوضى، ومن ضياع الفكر والذاكرة، نعمتا الحضارة. يوحي تعذيب أودين بشعائر الشامان^(١)،

(١) الوسيط بين البشر وعالم الأرواح.

حيث يُمنح المُعذَّب حق الوصول إلى المعرفة السرية. وقد يكون أودين، إله السحر والحرب، شاماناً في الأصل، في حين أن الغريان والذئاب التي ترافقه قد تكون مساعديه من الحيوانات.

أصبحت الغريان طيوراً مشؤومة لدى الفايكنغ، ربما أكثر من اليونانيين والرومان، حيث أن نعيب غراب أمام منزل قد يتنبأ بموت رب المنزل، وأصبح الغراب ذو الجناحين المبسوطين مقياساً لقادة الفايكنغ الذاهبين إلى المعركة. وتقص ملحمة فلوكي Saga of Flokki من القرون الوسطى كيف اكتشف أحد البحارة إيسلندا عبر إطلاق غراب والابحار خلفه.

كان للغريان والغريان السوداء أهمية مماثلة لدى السلت الاوائل. كان لوغ Lugh، ويعني اسمه (الشخص المشرق)، هو إله النور عند السلت. ويرتبط الاسم بالكلمة الغولية لوغوس «lugos» التي تعني الغراب الأسود، مما يوحي أنه في إحدى المراحل، قد يكون لوغ ملك الغريان، شأنه شأن أودين، وهو أيضاً يتشارك مع أودين الصلة بالمعارك والشعوذة. وفي الكتاب الايرلندي (كتاب الغزوات) Book of Invasions تقوم الغريان بتحذير لوغ باقتراب أعدائه الفورميان Formians. والاسم الأصلي لمدينة ليون هو لوغدنوم Lugdunum ويعني تل الغريان، وسميت هكذا لأن تحليق الغريان هو ما أرشد المستوطنين الأصليين الى المكان الذي بنوها فيه.

ولكن وبشكل عام، صور السلت الغريان والغريان السوداء على أنها مخلوقات من العالم السفلي أكثر منها مخلوقات تطير تحت الشمس وقد تم العثور على الكثير من الغريان التي دفنها السلت في حفر في العصر الحديدي، وأحدها في انكلترا في وينكليبوري، ويلشاير، وكان موضوعاً بشكل متعمد في قاع الحفرة وأجنحته منبسطة، مما يوحي أنه قد يكون جزءاً من شعائر أضحية. ترتبط الغرابيات غالباً، كما ذكر من قبل، بإلهتي المعارك بادبا وموريغان ولدى كليهما القدرة على اتخاذ أشكال ثلاثية وظهورهما قبل المعركة أو خلالها عادة ما يتنبأ بالهلاك. ففي الملحمة الايرلندية القديمة موت كولاين The Death of Cu Culainn، يصادف البطل الاسطوري

غريان وطيور أخرى

Cocharelli في

Tractatus de

vitiis septem

(أواخر القرن الرابع

عشر). غالباً ما كانت

العصور الوسطى توضع

في قالب عوالم أخرى،

ولكن من الواضح أن

الفنان الذي رسم هذه

الطيور كان يستمتع كثيراً

بمراقبة الطبيعة.



منحوتة خشبية انكليزية
من العصور الوسطى تظهر
أساطير ايسوب Fables
Of Aesop وتعرض
مباراة في الإرادة بين
حيوانين ذكيين بالفطرة،
الثعلب والغراب.



كو كولايين في طريقه إلى المعركة ثلاث عرافات بشكل غريبان، يغلب أن يكن تجلياً لبادبا، ويقمن بخداعه لانتهاك إحدى المحظورات بأكل لحم كلب. وسرعان ما يُصاب كو كولايين بجرح مميت ويقوم بتقييد نفسه الى شجرة كي يموت واقفاً على قدميه. راقبه أعداؤه من بعيد وهم خائفون من الاقتراب منه حتى حطت بادبا في هيئة غراب أو غراب أسود، على كتفه.

تكاد حكايات ويلز الواردة في كتاب مابينوجيون Mabinogion أن تكون أقرب بقليل الى عالم الفروسية. ففي قصة حلم رونابوي The Dream of Rhonabwy يتنافس الزعيمان آرثر وأوين في لعبة تشبه كثيراً لعبة الشطرنج بينما يقتتل رجالهما في معركة. وكان فرسان آرثر يراقبونه في حين أن غريباناً سحرية رافقت اوين وكانوا قادرين على التعافي من الجروح وحتى النهوض من الموت. كانت الغريبان على وشك هزيمة رجال آرثر، عندما قام الحاكمان بإنهاء مسابقتهما وإعلان السلام. وفي قصة برانوين ابنة لاير Branwen, Daughter of Llŷr كان بطل القصة هو بران العملاق والذي يعني اسمه في لغة أهل ويلز الغراب. تزوجت اخته برانوين، والتي يعني اسمها (الغراب الأبيض) من زعيم ايرلندي أساء اليها. فأرسلت طائر زرزور عبر البحر بأبناء سوء المعاملة الذي تتعرض له، وسرعان ما غزت جيوش بران ايرلندا. وبعد معركة رهيبة تمكن بران ورجاله من قتل جميع

الأشخاص في أيرلندا باستثناء خمس نساء حوامل لجأن الى كهف .. أصيب بران نفسه بجرح قاتل في حين نجاة ستة فقط من تابعيه.

وبناء على أمر من العملاق، قام رجاله بقطع رأسه الذي استمر بالكلام، وحمل المحاربون الرأس وعادوا الى لندن. ثم قاموا أخيراً بدفنه في برج لندن، ووفقاً للأسطورة، فإن روح بران هي الغربان التي تعيش في البرج. وطالما أن الغربان لم تختف من هناك، فلا يمكن غزو بريطانيا بنجاح.

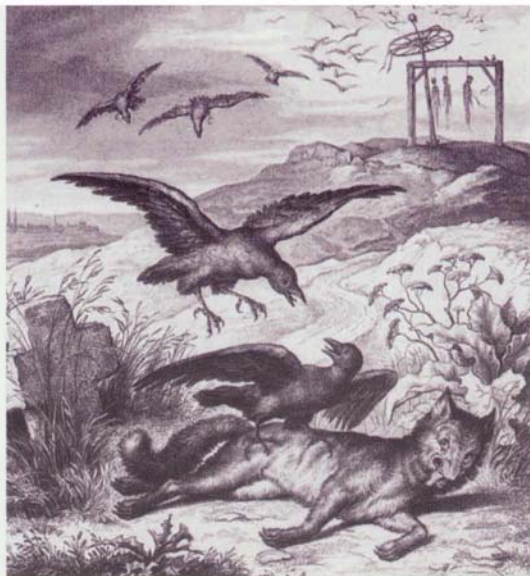
لم يعد الناس ينظرون إلى الحيوانات على أنها نبوءات مثلما كانوا في العالم القديم، وإنما ازداد اعتبارهم لها مصدراً للعبير الاخلاقية أو أهداف دراسة جمالية. وفي مشهد مشهور من قصة بريدور، ابن افراوغ، Peredur، Son of Efracw من كتاب مايبينوجيون أيضاً، يلتقي البطل بريدور بغراب يلتهم بطة في الثلج، وبدأ يحلم بحبوبته، فقد ذكره بياض الثلج بلون بشرتها في حين أن لون الغراب الأسود يشبه لون شعرها، وكانت قطرتان من الدم تشبهان احمرار خديها. وقد وردت هذه الصورة مرات عديدة وباختلافات كثيرة في الأدب الشعبي، مثلاً: في بارزيفال Parzifal الشعر الفروسي للشاعر ولفرام فون اسكينباخ⁽¹⁾ وفي الحكاية الخرافية «بياض الثلج الصغيرة» Little Snow White» للأخوين جريم. يلخص هذا المشهد الجمال والقسوة اللذين اعتدنا على ربطهما بالعصور الوسطى.

قد تكون العصور الوسطى أقرب إلينا زمنياً من العالم اليوناني. الروماني، ولكنها الأكثر غموضاً من العديد من النواحي. فالأشكال المرسومة على المزهربات الإغريقية الظاهرة واللوحات الجدارية الرومانية تركز على نشاطاتهم، على تقيض الأشكال في اللوحات التي تعود للعصور الوسطى والتي عادة ما تحدد بنا، نحن المشاهدين، مباشرة بأعين صارمة وكثيية بعض الشيء.

وكثيراً ما قام الفنانون من العصور الوسطى وعصر النهضة برسم مشاهد متعددة من القصة في لوحة واحدة ليذكرونا بأنهم يقدمون جزءاً

(1) فارس وشاعر ألماني عاش بين 1170-1220. ويعتبر من أعظم الشعراء الملحميين في عصره.

يظهر الشعلب، بطل القصة،
في هذا المشهد الذي رسمه
ويلهيلم كاولباخ عن خرافات
راينارد، وهو يُقاد إلى الموت
في الوقت الذي تصل فيه
الغربان لتنقر جثته. ويبدو
المزيد من الغربان وهي تتجمع
في الخلفية إلى جوار المشاقق.



من الحالة السرمدية. وقد ظهرت الحيوانات، في الكتب التي تعود للعصور
الوسطى، كتعبيرات وكنائيات خلقها بالأصل الإله القادر على كل شيء
ليوضح للبشر العبر الاخلاقية. وهكذا قد يرمز الظبي والفيل إلى المسيح،
في حين أن الثعبان والخنزير يمكن أن يمثلا الشيطان. ولكن في الغالب كان
كتاب العصور الوسطى يبتهجون برواية الحكايات عن الحيوانات. وفي بعض
الأحيان وأثناء تحول أوروبا إلى المسيحية أعطى موت الآلهة الوثنية المجسمة
فرصة أكبر لإعادة نشوء التراث القديم. وكان الأدب الشعبي المسيحي
لأوروبا في العصور الوسطى غالباً أقل تركيزاً على الانسان من الديانات
اليونانية والرومانية. وبشكل عام، تظهر الحيوانات ببساطة في أدب القرون
الوسطى على أنها كائنات مجسمة مبعوثة، كما كانت تبدو لدى اليونانيين
والرومان.

ولكنها هنا مُشارك فعّال في حكايات الرجال والنساء. وقد قام أهل

العصور الوسطى بتكليف الأدب الشعبي للعصور السابقة مع المسيحية، عبر إضافة حواشٍ أخلاقية. ومع ذلك، انتشرت الغرايات على أنها خيرةٍ وشريرة معاً، حتى أنها مثل يهوه في العهد القديم تمثل الخير والشر في آن واحد. وقد يقوم الكتاب بإطراء الغربان بشدة في إحدى الفقرات ثم يلعنوها بقسوة في الفقرة التالية. ويقول هوغ في كتاب Fouilloys Aviarium والذي كتب بين أول القرن الثاني عشر وحتى منتصفه ولكن نُشر بعد حوالي ٣٠٠ عام على ذلك: (يعتبر الغراب في بعض الأحيان رسولاً، وفي أحيان أخرى مذنباً، ويُنظر إليه على أنه الشيطان في أحيان أخرى) (٢). وربما يعود ذلك إلى أنَّ الغربان توحى بمزيج من الخير والشر، وقد ساد لدى الفلاحين الفرنسيين قول مفاده أن الرهبان الفاسدين يصبحون غرباناً سوداء في حين تتحول الراهبات السيئات إلى غربان.

ارتبطت الغربان والغربان السوداء بشدة بالموت. فكل محارب كان يعرف أن مصيره المحتمل هو أن تأكله الغربان، على الأقل حتى وقت قريب جداً تاريخياً. وكان هذا مزعجاً جداً وخاصة في الثقافات التي تعتقد أن قدر الأموات في العالم الآخر يعتمد ولو جزئياً على الدفن اللائق. وقد تمت إضافة تفاصيل مأمّية وفي أحيان كثيرة خيالية إلى الغربان التي تبحث في القمامة. وكان الكتاب في العصور الوسطى مثل أسيديور الإشبيلي^(١) وهيو الفولوي^(٢) قد قالوا إن الغراب سينقر عيني ضحيته أولاً ثم يقوم باستخراج الدماغ من خلال الفتحات. وأورد كونراد فون ميغينبيرغ^(٣) في كتابه المشهور عن التاريخ الطبيعي والمنشور في عام ١٣٤٩، أن الغربان تنقر عيون البغال والثيران في المزرعة عمداً. وعندما يرى الفلاحون أن حيواناتهم الداجنة لم تعد ذات فائدة، يقتلونهم ويسلخون جلودها وبهذه الطريقة تحصل الغربان الذكية على فرصة لالتهام جزء من الذبيحة.

(١) مطران اسباني من سافيل روج للتعليم وشجع على التعلم، عاش بين ٥٦٠-٦٣٦ م.

(٢) رجل دين مسيحي فرنسي عاش بين ١٠٩٦-١١١١ م. عُرف بكتابه الروحية.

(٣) علامة وكتاب ألماني متعدد الجوانب عاش بين ١٣٠٩-١٣٧٤ م.

تثير فكرة أن يؤكل المرء من قبل الحيوانات رعباً بدائياً جداً، حيث أن ترك المرء كجثة تلتهمها الغربان يمكن أن يعني بكلمات أخرى، أن هذا الشخص قد تم إبعاده عن المجتمع البشري. وهذا كان مصير المجرمين الذين كانت جثثهم تُترك على المشائق ليكونوا عبرة لغيرهم. وقد ورد هذا بشكل حيّ في القصيدة الملحمية بيولف Beowulf التي نظمت في وقت ما بين منتصف القرن السابع ونهاية القرن العاشر الميلادي:

وكانت تشبه التعاسة التي يشعر بها رجل عجوز

عاش ليرى جثة ابنه

تتأرجح على المشائق. وبدأ العجوز برثاء

وبكاء صغيره وهو يراقب الغراب

يتأمل بحبور المكان الذي يتدلى منه... (٣)

غالباً ما تضمنت التحذيرات من حياة الجريمة أن مصير من ينخرط فيها سيكون الاتهام من قبل الغربان والغراب السوداء، حتى أن النطع الذي كان يتم عليه قطع رؤوس المجرمين عرف باسم «حجر الغراب».

تبدو الغربان في العديد من الأغنيات الشعبية التي يعود بعضها إلى العصور الوسطى أو ما قبلها، وهي تبحث عن ميدان معركة وتخطط لالتهام فارس قتيل. وتقول أغنية مجهولة المؤلف باسم الغرابين The Twa Corbies، من المنطقة الحدودية بين انكلترا واسكوتلندا:

بينما كنت أسير وحيداً

سمعت غرابين يتحدثان

قال أحدهما للآخر

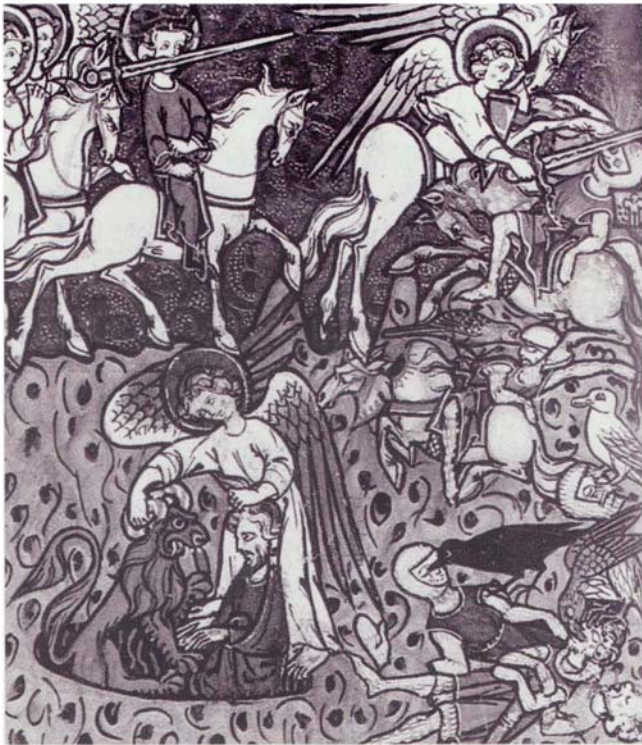
أين سنذهب لتناول الطعام اليوم؟

يوجد خلفك خندق معركة

ورأيت هناك فارساً قد قُتل حديثاً

ولا أحد يعلم أنه سقط هناك

وماذا عن صقره وكلبه وزوجته الجميلة



تصوير لغراب ينقر
عيني جندي ميت من
سفر Apocalypse
الرويا الانكليزي في أواخر
القرن الثالث عشر. أصبح
منظر العربان وهي تجتمع
في ميادين المعارك وتلتهم
القتلى مألوفاً أكثر فأكثر
في أواخر القرون الوسطى
بسبب زيادة تواتر الحروب
واتساع نطاقها.

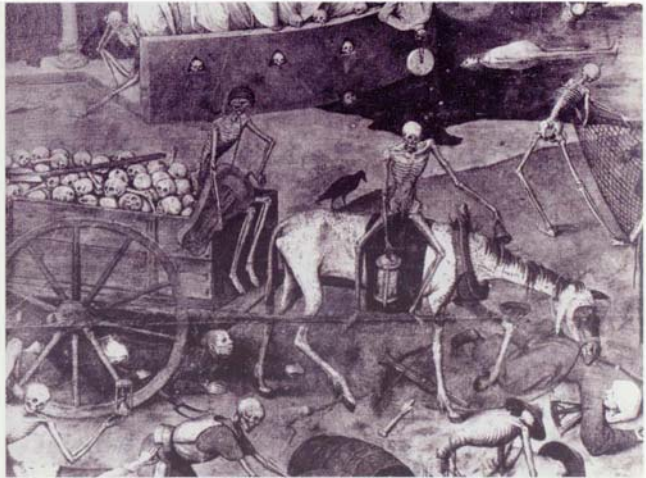
كلبه ذهب للصيد

وصقره طار يبحث عن فريسة يأكلها
وزوجته اتخذت لها رجلاً آخر
إذا فنحن نستطيع أن نستمع بعشائنا
أنت ستجلس على رقبته
وأنا سأنقر عينيه الزرقاوين الجميلتين
وسننتزع شعره الأشقر
ونضعه في عشنا عندما ينقصنا القش
الكثيرون سيتحدثون عنه

The لوحة انتصار الموت
Triumph of Death

(١٥٦٢) للفنان بيتر بروغيل

الأكبر وهي تعرض هياكل عظمية هزيلة تمثل الموت وتقود حصاناً وعربة ممتلئة بالجماجم فوق أجساد رجال ونساء يائسين. لنلاحظ وضع الغراب المألوف على ظهر الحصان.



ولكن لا أحد سيعرف أين ذهب
وعلى عظامه البيضاء عندما تصبح عارية
ستهب الرياح للأبد (٤)

في نسخ أخرى من هذه الأغنية تسهر الزوجة الوفية والكلب على حراسة جثة الفارس وحمائتها من الغربان والغربان السوداء. وفي مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير (الفصل الخامس، المشهد الأول) تراود كاسيوس المتمرد رؤيا عن هزيمته ويقول:

..... الغربان والغربان السوداء والحدآت

تطير فوق رؤوسنا وتنظر إلينا من على

ونحن نموت بيأس، وتبدو ظلالهم

كمظلة مميتة يستلقي تحتها جنودنا، على وشك أن يسلموا أرواحهم.

تردد صدى هذه الكلمات في المقاطع الأخيرة من المسرحية، عندما أعلن اوكتافيان ومارك أنتوني أن بروتوس المهزوم يجب أن يُمنح جنازة لائقة على الأقل.

منذ نهاية العصور الوسطى وحتى العصر الحديث، أصبح تصوير سرب

من الغربان يحوم حول المشائق تقليداً في الفنون التصويرية، ولكن كان هناك استثناء واحد مثير للاهتمام؛ لم يتم أبداً تصوير الغربان وهي مجتمعة حول جسد المسيح المصلوب، وكذلك الأمر بالنسبة للصين اللذين أعدما معه. ولم يتم رسمها أبداً وهي تنقر جثث الشهداء، على الرغم من أن الشهادة كانت تصور بتفاصيل دامية. ولو أن الغربان عُرضت بهذه الصفات، لكان لا بد لهذه الطيور أن توسم بالشيطنانية أو تمجد. وبطبيعة الحال، كانت محترمة في العادة، وهذا أكثر أماناً بكثير لأي نوع من المخلوقات.

في عام ١٥٦٢ أكمل الرسام الفلمنكي بيتر بروغال الأكبر لوحة زيتية بعنوان انتصار الموت The Triumph of Death، واحتوت هذه اللوحة على هيئة هيكل عظمي يحمل ساعة رملية في إحدى يديه وجرساً في اليد الأخرى وهو يمتطي صهوة حصان يجرّ عربة مليئة بالجماجم، في حين يُسحق العديد من الناس الذين ربما أضعفهم الجوع والمرض تحت عجلات العربة المتقدمة. ويظهر أيضاً غراب كبير على ظهر الحصان مباشرة خلف الفارس الهزيل وهو ينظر من الأعلى نحو الأموات والمحتضرين.

إن العديد من الخرافات الأوروبية تجعل من الغربان تجسداً للموت، فإن طار غراب منفرد ثلاث مرات فوق أحد السطوح أو حطّ عليه، فهذه علامة أن الشخص الذي في الداخل سيموت قريباً. وفي يوركشاير الشرقية في انكلترا، يقول الناس إنه إذا حطّ غراب في مدفن الكنيسة فأحدهم سيُدفن هناك قبل مرور سنة على ذلك.

وبشكل خاص، تعتبر الغربان السوداء نذير شؤم؛ فإن نقر غراب بجانب منزل شخص مريض، فهذا يعني أن أجله لم يعد بعيداً. وتحكي إحدى المخطوطات من أواخر العصور الوسطى، وهي الآن في مكتبة بولدليان في اوكسفورد، كيف عانى سكان لندن من الوباء لثلاث سنوات في حوالي عام ١٤٧٤ عندما:

... هناك في لندن وعلى صليب شارينغ بنى غراب عشه؛
حيث لم ير أي عش هناك من قبل. وبعد ذلك

في صورة للفنان
ألبرت دورير الأصغر
لسياستيان برانت،
سفينة الحمقى
The Ship of Fools
(١٤٠٠) يشعر أحد
الحمقى بالافتتان ببناء
الغراب cras. cras
(غداً، غداً) الذي يقنعه
بالمماطلة.



أتى الطاعون وقتل الكثيرين، واستمر لثلاث سنوات؛
ومات الناس بأعداد كبيرة في كل مكان، رجالاً
ونساءً وأطفالاً (٥).

وهناك إشارة أخرى للخرافات التي تقول إن الغربان يمكن أن تتنبأ
بالموت في مسرحية شكسبير عظيم، مرسى البندقية (الفصل الرابع، المشهد
الأول)، عندما يقول البطل:

أتذكر

عندما طار الغراب فوق المنزل الموبوء

ينذر الجميع

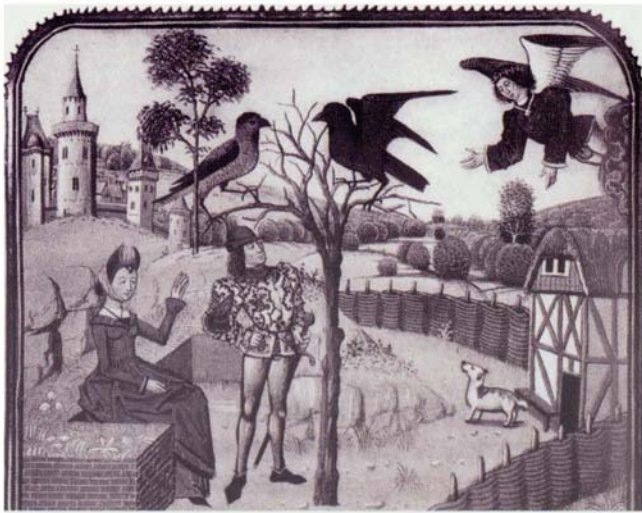
وفي مسرحية شكسبير، ماكبث (الفصل الأول، المشهد الخامس)،
تلاحظ السيدة ماكبث وهي تخطط لقتل الملك دانكن:

صوت الغراب نفسه أجش

وهو ينطق عند دخول دانكن

إلى داخل أسواري....

ولكن علينا أن نتذكر أنه وعلى الرغم من أن الغراب يمكن أن يكون
رسول الهلاك، إلا أنه من النادر أن يكون سبب سوء الحظ. فقد كان الموت



لوحة من العصور الوسطى
عن كتاب مدينة السيدات
The Book of the
City of Ladies
(١٤٠٥) للكاتب كريستيان
دو بيسان. وهي تعرض
العراقة اليونانية أمالثيا التي
قادت إينياس في رحلته إلى
العالم السفلي. وكانت قد
تلقت من أبولو موهبة التنبؤ
وفي هذه اللوحة تنظر نحو
طائرين متبأين غراب أسود
وغراب ذو قلنسوة.

مألوفاً لدى أهل العصور الوسطى وعصر النهضة أكثر بكثير مما هو للناس
اليوم. كان متوسط العمر المتوقع أدنى، بسبب قلة الحماية ضد المجاعات
والامراض بالمقارنة مع اليوم. وكان سكان أوروبا بمجملهم تقريباً ريفيين، ونشأ
الناس وهم يرون الدجاج والخنازير تُذبح بغرض أكلها. وبالنسبة إلى الذين
يتوقعون أو على الأقل يأملون، بالبركة الأبدية لم يكن الموت شيئاً سيئاً
بالضرورة، حيث كان يفرض نفسه في أوج حياة المرء بكل فخامة وهيبة.
والأكثر من ذلك، أن الموت لم يكن يعتبر أمراً خاصاً، بل إنه شأن عام. وقد
رغب الناس في معرفة ساعة موتهم حتى يتمكنوا من التحضير لها. وكانوا
يتمنون الموت في أسرتهم مُحيط بهم عائلاتهم وأصدقائهم وربما أعدائهم
القدامى الذين سامحوا بعضهم.

لا أحد كان يتمنى أن يأخذه الموت فجأة وبالتالي يُحرم من فرصة
التصالح مع الرب والعالم. وقد يكون الإعلان الذي يقوم به الغراب عن
اقتراب الموت مخيفاً ولكنه في أحيان كثيرة يُعتبر نعمة.
وكمارأينا من قبل، فقد فهم الرومانيون نداء الغربان على أنه كلمة (كراس

يمنح غطاء الدرغ هذارؤية متفائلة
لنداء الغراب مضرب الأمثال
(كراس Cras) أو الغد. ويقول
شعار جيمس إنكين المرسوم
عليه: (سعادة اليوم ستصبح
ثلاثة أضعاف غداً).



لم يكن الغراب حيواناً
مُجداً في الأيقونات المسيحية
ولكن أيقونة القديس انتوني
أبوت والقديس بول الراهب
مع الغراب (١٦٣٥) والتي
رسمها دييغو فالسكوير تُظهر
أحد الغربان بوضوح وهو
يهبط مباشرة من الجنة مثل
الروح القدس.



(cras) والتي تعني الغد، وأصبح هذا النداء يُفهم على أنه تذكير بالموت قرب
نهاية العصور الوسطى عندما اجتاحت الاوبئة الخبيثة والحروب الضارية
أوروبا. في الوقت نفسه، كان هذا النداء رمزاً للمماثلة وغالباً ما يكون المقصود
هو الشخص الذي يؤجل برضاه التصالح مع الرب، وهو لا يعي أنه يمكن أن

يموت في أية لحظة. ومع انتعاش المعرفة الوثنية في عصر النهضة أصبح الغراب، بحسب الأسطورة اليونانية التي كان هزيود أول من ذكرها، رمزاً للفتاة باندورا والتي قامت بفتح صندوق يحتوي شرور العالم جميعها.

وعندما لاحظت ما حدث، أغلقت غطاء الصندوق ولكن الأمل وحده بقي في القاع. وفي الوقت الذي بدأ فيه التشاؤم المتطرف في أواخر العصور الوسطى وبدايات عصر النهضة بإفساح الطريق أمام هدف التطور، وتغيرت نظرة الناس نحو الفتاة باندورا فأصبحت رمزاً للخطأ البشري وبشكل أقل رمزاً للذنب. وبدا صدى نداء الغراب (كراس cras) أو (الغد) أكثر تفاعلاً، ورسوم الفنانين في بعض الأحيان الغراب على الصندوق أو على كتف باندورا.

لا يزال ارتباط الغربان بالفناء يرافقتنا في المصطلح (أقدام الغراب) والتي تعني خطوط الشيخوخة حول العينين. ولعل هذا المصطلح يعود إلى استخدام أقدام الغربان في التعاويذ السحرية. وينعكس ارتباط الغربان بالنبوءات في المصطلح (عش الغراب) والذي يعني برج المراقبة قرب قمة سارية السفينة. ويعود المصطلح جزئياً إلى عادة الغراب بناء عشه قرب قمة الشجرة، وعلى اعتبار أن البحار المناوب في عش الغراب يسعى لرؤية الأرض أو السفن البعيدة، فهو يشبه المستنصر (الغراب) قليلاً.

وتتردد أصدااء القصة الانجيلية عن إليخيا⁽¹⁾ في العديد من أساطير القرون الوسطى، من خلال جعل الغربان مبعوثة للرب. فمثلاً، حدثت جاكوب دو فوراغين في الاسطورة الذهبية The Golden Legend كيف قام القديس بول الناسك مرة باللجوء إلى كهف في غابة ليهرب من الامبراطور ديسيوس، وفي كل يوم كان الغراب يأتي إليه بنصف رغيف من الخبز، وفي إحدى المرات قام القديس أنتوني بزيارة القديس بول فأحضر الغراب رغيفاً كاملاً. وغالبا ما كان الغراب يُرسم مع القديس فينسينت. ويحدثنا جاكوب دو فوراغين كيف أمر الامبراطور داسان بترك جثة القديس فينسينت الشهيد في العراء لتأكلها الحيوانات. فظهرت في البداية مجموعة من الملائكة حول

(1) من أنبياء اليهود في العهد القديم.





الغراب الأعصم وهو
نوع من الغربايات يشبه
الغراب الحقيقي وغالباً
ما يعتبران بالخطأ نوعاً
واحداً. وبحسب بعض
الأساطير من ويلز فإن
الملك آرثر لا يزال يعيش
في هيئة غراب أعصم.

الجثة حتى لا يقترب منها أي وحش أو طير. ثم هبط غرابٌ وهاجم الطيور
الأخرى، على الرغم من أن بعضها كان أكبر منه حجماً، ودفعهم بعيداً.
واقترب ذئب من الجثة لكن الغراب طارد ذلك الحيوان بعيداً أيضاً وهو
ينعب وينقر. وأخيراً، استدار الغراب نحو الجثة وحدق فيها بتعجب. في
إمكاننا أن نفرس هذا الغراب الغامض على أنه رمز للمسيح على الرغم من
أنه يبدو وثنياً أكثر منه مسيحياً.

كان لدى الناس في الإسلام نظرة أكثر سلبية نحو الغربان، فإحدى
الأساطير المشهورة تقول إنه في إحدى المناسبات كان محمد (عليه الصلاة
والسلام) مختبئاً في كهف ليهرب من أعدائه، عندما لمح غراب، وكان
في حينها طائراً أبيض، وصرخ الغراب: (غار، غار!) والتي تعني (كهف،
كهف!) في محاولة منه لخيانة النبي.

وعلى أية حال لم يتمكن الرجال المسلحون من فهم ما قاله الغراب
ومرّوا بمحاذاة مدخل الكهف. وعندما غادر محمد (عليه الصلاة والسلام)
ملجأه، حوّل الغراب إلى اللون الأسود ولعنه بقوله إنَّ على الغراب منذ
ذلك اليوم ان يكرر نداء الخيانة.

وكتب العلامة العربي العراقي حمدالله المصطفى القزويني في القرن

الثالث عشر في بحثه حول الحيوانات أن الغراب كان واحداً من الحيوانات الخمسة الخسيسة، والأخرى هي، الكلب المجنون والثعبان والجرذ والحدأة (٦). من المحظور على المسلمين صيد أو قتل الحيوانات خلال رحلة الحج إلى مكة، ولكن هناك استثناء لصيد هذه الحيوانات والتي كانت تعتبر مؤذية جداً. وكان المؤمنون ملزمين بالقضاء على هذه الطيور الضارة في أي ظروف. وعلى الرغم من ذلك فقد اقترح القزويني العديد من الحلبي والأدوية التي يمكن صناعتها من أجسام الغرابيات حتى أن القارئ ليتساءل هل كانت هذه الطيور تُقتل فعلاً بداعي الواجب. وربما كانت تُقتل بسبب الأعاجيب التي يمكن تنفيذها من أجسامها. مثلاً: يعمل طحال الغراب كرقية حب لأي شخص يعلقه على جسده، ومزيج دهن غراب الروك بزيت الزهور الموضوع على حدود إحداهن يجعل السلطان يوافق على تلبية أي طلب. وبالنسبة لأولئك الذين يحبون إثارة المشاكل، فإن مزج عين غراب مع عين بوم وإحراقهما وسط مجموعة من الناس سيؤدي إلى إخراج الضغائن. وكذلك كان المنظور اليهودي نحو الغراب خلال العصور الوسطى وعصر النهضة سلبياً بشكل عام. وقد طُوّر الحاخام المصري الأسطوري إيزاك لوريا نظرية تناسخ الأرواح والتي تشبه تلك الموجودة في العديد من الديانات الآسيوية، والتي تقضي أن الكائن قد يمر بالعديد من الأشكال خلال رحلته نحو الخلاص، وأدعى أتباعه في بعض الأحيان أن من يقسو على الفقراء قد يعود متقمصاً شكل غراب. وأورد موسى الجالنتي الصفدي أن الحاخام لوريا حدّد في إحدى المرات غرابين على أنهما أرواح الشخصيات الإنجيلية بالاك وبالعام^(١).

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه بحسب ادعاءات لوريا فإن غراباً آخر كان تقمصاً لروح جامع ضرائب مكروه. وعلى الرغم من ذلك فإن الغرابان كانت مألوفة جداً كجزء من حياة اليهود اليومية أو أي شخص آخر، ليطم اعتبارها على أسس سلبية أو إيجابية منتظمة. وفي العصور التي سبقت اختراع

(١) ترد قصتهما في سفر العدد في الكتاب المقدس.

الساعات المحمولة، حيث كان الناس يحددون الوقت بشكل عام بالاعتماد على نداءات وتصرفات الحيوانات، كان اليهود يبدأون يوم السبت عندما تستقر الغربان في أماكنها لقضاء الليل.

وفي بريطانيا، عاش الاحترام الطوطمي للغربان أكثر من أي قسم آخر في أوروبا، على الرغم من أنه قد تجرّد من محتواه الأسطوري الأصلي. وذكر بيير بيلون^(١) في كتابه «التاريخ الطبيعي للطيور» (والذي نشر لأول مرة في ١٥٥٥) أنه يمنع في انكلترا تحت طائلة غرامة كبيرة إيقاع أي نوع من الأذى بالغربان. وكان السبب الذي قدمه بيلون أنه إذا لم تقم الغربان باستهلاك الجيف فستتحلل اللحوم وتسمم الهواء. ونستطيع أن نقول إنه سبب بيئي ولكن الانكليز فكروا فيه بطريقة عملية جداً. وكانوا واعين بالفطرة للعلاقة بين اللحوم المتحللة والأمراض ولكنهم كانوا يرغبون وقبل كل شيء في تجنب الروائح والمشاهد المؤذية.

وبعد نصف قرن من بيلون، قدم ميغيل دو سيرفانتس الإسباني تفسيراً آخر للحظر الذي فرضه الانكليز على قتل الغربان في روايته الرائعة دون كيشوت Don Quixote de la Mancha حيث قدم البطل تفسيراً مفاده أن الملك البريطاني آرثر تحول إلى غراب وبقي قومه في انتظار عودته، وهم لن يقوموا بقتل غراب خوفاً من أن يكون هو الملك الأسطوري. وأكد كتاب التراث الشعبي أن هذا الاعتقاد ساد في ويلز وكورنويل على الأقل حتى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر. وفي بعض روايات الاسطورة، تحول الملك إلى غراب أعصم، وتعكس القصة في الغالب التبجيل الدائم للغراب كحيوان طوطمي.

وكان هناك نوع غريب من التطابق بين الأدب الشعبي للصور الوسطى وعصر النهضة بين رمزية المقدس والمدنس، وفي الكثير من الأحيان قد يرمز الشيء أو المخلوق نفسه إلى كلا الصفتين. وبالتالي، فإن التفاحة هي رمز السقوط عندما وضعت في يد حواء، ولكنها في يد مريم (حواء الجديدة) أصبحت رمزاً

(١) عالم طبيعة فرنسي، عاش بين ١٥١٧ - ١٥٦٤ م.

للخلاص. وبطريقة مشابهة، قد يمثل الغراب الدرجة القصوى للخير أو الشر، بالاعتماد على المحتوى الذي يظهر فيه. ففي حضرة القديس فينسينت، كان الغراب مبعوثاً من الرب، ولكنه عندما يرافقه مشعوذة يكون رسول الشيطان. كان ارتباط الغراب بالشعوذة في جزء منه إنكاراً لاستخدامها القديم في الكهانة. فقد شددت الكتب المجازية التي تتحدث عن الحيوانات من العصور الوسطى والتي غالباً ما تبدو لنا خرافية في هذه الأيام، على أنه لا ينبغي اعتبار الغراب نذيراً بالمستقبل. وقال ادوارد توبسل وهو عالم حيوان إنكليزي عاش في منتصف القرن السابع عشر (إنه شر خطير أن نعتقد أن الرب يرسل تعليماته للغراب)^٦ وأضاف أنه من عمل الأرواح الشريرة استخدام العرافين للغراب كما هو مطبق بين الهنود الحمر. وذكر الأخوان جريم في مجموعتهم من الأساطير الألمانية أن رجلاً وامرأة من لوتيش^(١) أعدما في عام ١٦١٠ لتجولهما في هيئة ذئبين، في حين رافقهما ابنتهما ذو الاثني عشر عاماً في هيئة غراب. وقالت اسوبل غوودي وهي امرأة اسكوتلندية اعترفت بممارسة الشعوذة في عام ١٦٦٢، إن الغراب كانت الهيئة المفضلة لدى الساحرات عندما يتجولن في الليل.

وعلى أي حال، فإن مرافقي الساحرات كانوا في العادة حيوانات أصغر من الغراب. وحكي ويليام من ماليسبوري عن ساحرة إنكليزية في بيركلي واسمها جلوسيمستيرشير، أن غراب الزيتون كان رفيقها المفضل، وهو طائر تبدو نداءاته وكأنها تقليد لايقاع الكلام البشري غالباً. في أحد الأيام في عام ١٠٦٥، بدأ الطائر بالثرثرة بشدة أكثر من المعتاد فأوقعت المرأة سكينها من الخوف فقد لاحظت أنها على وشك الموت، ومرضت جداً في ذلك اليوم وسرعان ما حملها الشيطان بعيداً.

استنبط الكيميائيون^(٢) في عصر النهضة طرقاً معقدة تقتصر على مجموعات معينة لاستخدام القوى الخفية للغراب وخاصة منها الغراب

(١) مدينة في بلجيكا.

(٢) الكيميائيون القدامى

السوداء. وكتب الانكليزي روبرت فلود في أوائل القرن السابع عشر، ملقباً
 النفاية السوداء التي تبقى في قعر فرن التقطير بعد التقطير (بالغراب) أو
 (رأس الغراب) وهي كما اعتقد فلود كانت المادة الأولية التي استخدمت
 لانتاج مستحضرات التجميل فيما مضى، وهذا كان من عمل الشيطان،
 ومع ذلك فقد كان نقطة البداية للارتقاء نحو الرب. وفي الكنايات المعقدة
 للخيميائيين يمكن تعريف الغراب باستخدام شكل قبر أو شكل الشمس في
 حالة الكسوف. حيث أن الغراب، باعتباره يأكل الجيف، بما في ذلك جثث
 البشر يدل على تحوّل الأشياء جميعها في أثناء حركة العالم نحو الكمال
 ببطء ولكن بصرامة.

هوامش

- ١ كارولين لارينغتون، مترجم، The Poetic Edda (نيويورك ١٩٩٦)، الصفحة ٥٤.
- ٢ هوغ الفيولي، The Medieval Book of Birds: Hugh of Fouilloys،
 Aviarium مترجمة ويليام ب. كلارك (بينغهامتون، نيويورك ١٩٩٢) الصفحات ١٧٤-١٧٥.
- ٣ سيموس هيني، Beowulf (نيويورك، ٢٠٠٠)، الأسطر ٢٤٤٠-٢٤٤٤.
- ٤ آرثر كيلر كوش، The Oxford Book of Ballads (أوكسفورد/ ١٩١٠)، الصفحة ٦٧.
- ٥ ريتشارد موير The English Village، (نيويورك، ١٩٨٠)، الصفحة ١٢٧.
- ٦ القزويني، حمد الله المصطفى، كتاب نزهة القلوب، قسم علم الحيوان، تحقيق وترجمة ج. ستيفنسن
 (لندن، ١٩٢٨)، الصفحات. ٢١، ٨١.
- ٧ توماس، ادوارد The Fowles of Heaven أو History of Birdes، تحقيق: توماس
 ب. هاريسون. ف. دايفيد هونيغير (أوستن، تكساس، ١٩٧٢) الصفحة ٢٢٩.

4 - آسيا

الحلاق هو الأذكى بين الرجال؛
وابن أوى بين الوحوش؛
والغراب أذكى الطيور؛
والراهب ذو الثوب الأبيض من بين الرهبان
المبادئ الخمسة^(١) Panchatantra (ترجمة آرثر و. رايدر)

من النادر جداً أن نعثر على ديانة رئيسية تتمحور إلى حد بعيد حول الغراب، كما في ديانة الأشباح الراقصة للهنود الحمر، ومع ذلك، ترتبط الغرابيات بالنبوءات والحكمة وطول العمر في أغلب مناطق العالم. وربما في الأزمنة القديمة جداً، كانت هناك عبادة للغربان انتشرت عبر العالم، وبقي منها الآن أجزاء من أساطير ومعتقدات شعبية. وقد يكون المركز الجغرافي لمثل هذه العبادة في شمال آسيا الوسطى، ومن هناك يبدو أنها انتشرت إلى الأقوام التي تعيش في أمريكا الشمالية والشعوب القريبة في الشرق، وحتى قبائل السلت والنورماندين في الغرب، وبشكل أقل قوة إلى عدد كبير من الأقوام الأخرى بدءاً من العبرانيين وانتهاءً بالصينيين. وقد لاحظ الكثيرون من علماء الانسان تشابهاً بين معتقدات الشامان لدى سكان سيبيريا وبين معتقدات سكان أمريكا الأصليين في أقصى الشمال، حيث يُحتفى بالغراب على طول الدائرة القطبية الشمالية^(٢) وما وراءها على أنه إله الخلق وهو أيضاً مخادع في بعض الأحيان، وبذلك يمثل القداسة والفجور في آن معاً.
لم تكن أساطير التكوين أقدم منتجات التراث الشعبي، ولكنها عادة ما

(١) كانت بالأصل عبارة من مجموعة من قصص الحيوانات من الحضارتين الهندية والبوذية، ويعتقد الباحثون أنها قد كتبت حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. النص السنسكريتي الأصلي قد ضاع كلياً وينسب إلى فيشنو سارما، وتوجد روايات كثيرة عن القصص الاصلية مترجمة إلى أكثر من ٥٠ لغة، وتعرف في العربية باسم (كليلة ودمنة)

(٢) أحد خطوط العرض الرئيسية في النصف الشمالي للكرة الأرضية وتبعد ٦٦,٥٦٠,٨٣ درجة شمال خط الاستواء.



تأتي في سياق التحوّل من المجتمع القبلي نحو مجتمع أكثر تحضراً، حيث لا تكون الآلهة التي خلقت العالم هي التي تُعبد فعلاً، وغالباً ما تمثل أساطير التكوين مرحلة عابرة.

فمثلاً، تقوم آلهة التكوين مثل جايا اليونانية وبراهما الهندوسي بعمل حلقة اتصال بين المعتقدات الدينية الحالية مع الماضي الغابر. وقد تكون أساطير التكوين المتعددة بفعل الغراب، والتي نجدها بين أقوام الدائرة الشمالية، بقايا ميثولوجيا ضائعة. وبشكل عام، فإن هذه الأساطير جزئية وليست موحدة في أي علم كونيّات ديني متطور، وهي عبارة عن لحظات من التنوير تشبه قليلاً الظهور المفاجئ لغراب بين الثلوج.

ويقصّ قوم التشوكشي^(١) Chuckchee من شمال شرق سيبيريا أنه فيما مضى كان هناك غراب وزوجته يشعران بالملل، وعندما طلبت منه

توضيح لموضوع مألوف في الفن والشعر الياباني، يقع التركيز على هشاشة براعم الخوخ وعمرها القصير بالمقارنة مع الغراب في هذه اللوحة غراب على غصن خوخ في ظل البدر Full Moon with Crow on Plum Branch (في الثمانينات من القرن التاسع عشر) للفنان كاوانابي كيوساي (١٨٣١-١٨٩٨).

(١) السكان الأصليون لشبه جزيرة تشوكشي وشواطئ بحر تشوكشي وبحر بيرينغ في منطقة المحيط المتجمد ضمن الاتحاد الروسي.

لوحة يابانية تصوّر عائلة
من الغربان. (١٨٦٠م)
وفيها تبدو الأم وهي
تبحث باجتهاد عن الطعام
في حين أن الأب ينظر
بعصبية إلى الصغار وهي
تقوم بمحاولتها الأولى
للطيران.



الزوجة أن يخلق عالماً أجاب الزوج انه لا يعرف كيف يفعل ذلك. عندها
خلدت إلى النوم وولدت توأماً، طفلين ليس لهما ريش وكانا مستمتعين في
البداية بصوت نعيب الغرباب وكانا اول بشريين .

وقام الغرباب نتيجة شعوره بالتحدي والإلهام من فعلتها، بتكوين الأرض،
حيث قضى حاجته ليصنع الجبال والأنهار والوديان، ثم كوّن الحيوانات
والنباتات. ويحكي سكان كوكوليك في ايسلندا (الايونيت^(١)) في مضيق
بيرنيغ^(٢) كيف كوّن الغرباب أرضهم عبر الغطس في الماء وإحضار الرمال من

(١) السكان الأصليون لمناطق الدائرة القطبية الشمالية.

(٢) المضيق المائي الضيق الذي يفصل أسكا عن شرق سيبيريا.

القاع. وأصبحت الحصى التي في الرمال بشراً وعلم الغراب الناس كيف يصطادون الحيوانات والسماك.

يصبح الغراب الكبير خالق العالم وجد القبيلة في حكايات قبيلة كويك من شبه جزيرة كامشتاكا في سيبيريا، وحيث يكون الرجل - الغراب هو نظيره السيئ، الجشع والمندفع، ولكنه قوي. وفي إحدى الروايات، يتودد الرجل الغراب إلى ينيا أنيوت Yinyé-a-nyéut ابنة الغراب العظيم الكبرى ولكنها تتزوج طائرًا صغيراً بدلاً منه، وفجأة، يغرق كل شيء في السواد ويتنبأ شامان بأن الرجل - الغراب قد ابتلع الشمس. فتذهب ينيا أنيوت Yinyé-a-nyéut إلى الرجل - الغراب وتلهيه بكلمات تودد خجولة، ثم تمسك به فجأة وتدغدغ إبطه حتى يضحك الرجل - الغراب وتهرب الشمس.

وتقول أسطورة يابانية أيضاً، إنه كان هناك وحش يستعد لالتهام الشمس، ولمنع ذلك، قام حكام السماء بتكوين الغراب الأول، وفي اللحظة التي كانت فيها الشمس على وشك الاختفاء، طار الغراب مباشرة إلى حلق الوحش وخنقه لينقذ بذلك الفضاء السماوي. واليوم، يحصل الغراب على الحبوب من الحقول كما يشاء جزاءً لتصرفه البطولي ولا يضمن المزارعون عليه بمكافأته.

قد تكون هناك آثار لألوهية الغراب القديم في العديد من الأساطير حيث تصيح الغربان تجسيدا للآلهة. ويقول اليابانيون مثلاً إنَّ البطل جيمو تينو⁽¹⁾ كان يتجول باحثاً عن مكان ليؤسس فيه مملكته عندما لمح غراباً أرسلته إلهة الشمس أميراتسو⁽²⁾ وتبعه إلى ياموتو حيث استقر هنلك في عام ٦٦٠ ق.م ليصبح جد جميع أباطرة اليابان.

وتحكي قصة النبأ Yi، وهو أحد أشهر الشخصيات في الأساطير الصينية عن العلاقة الحميمة بين الغربان والشمس، حيث عاشت عشر شمس في شجرة التوت السماوية خلف المحيط وهذه الشمس كانت

(١) المؤسس الأسطوري لليابان وأول امبراطور يدرج اسمه في قائمة أباطرة اليابان.

(٢) أحد أهم آلهة ديانة الشانغو اليابانية ويعني اسمها (من تضيء السماء).

أطفال تيانغ ديجون ملك السماء وإكسي - هي إلهة الشمس، وفي كل يوم كان أحد الأطفال يصعد في السماء. وفي أحد الأيام تمرت هذه الشمس على أوامر السماء وظهرت جميعاً في السماء في وقت واحد، فاحتقرت المحاصيل وجفت البحار حتى أن أنهار الجليد ذابت. وتصرع الامبراطور الكونفوشيوسي الأسطوري ياو إلى تيانغ ديجون طالباً المساعدة، وأرسل الإله يي مع أسهمه ليخيف الشمس ويعيدها إلى شجرتها، ولكن يي قرر أنه ليس لديه خيار سوى إصابة الشمس، ومع كل سهم أطلقه كانت تظهر كرة نارية كبيرة في السماء ويسقط غراب بثلاثة أرجل على الأرض. وشعر الامبراطور ياو بالخوف، فإن لم يتوقف يي فسبقى العالم حبيس الظلمة إلى الأبد، وقام بسرقة أحد السهام من جعبة الرامي وهكذا تم الحفاظ على الشمس الأخيرة. ويصور النحاتون الصينيون في عهد سلالة هان الحاكمة غراباً بثلاث أرجل في الشمس، وترمز الأرجل الثلاث إلى الفجر والظهر والغسق.

وفي الصين، كما في أغلب بقاع العالم، احتلت الغربان أهمية كبيرة في الأساطير العالمية كما في الأساطير المحلية على الأقل. وتدرج إحدى القصص الساحرة حول رجل أصبح غراباً وهي من المجموعة القصصية المعروفة باسم «قصص غريبة». Strange Stories من استديو الصين Chinese Studio والتي كتبت في القرن السابع عشر وتنسب إلى باو سونغ لينغ. وهي تحكي قصة شاب من عائلة فقيرة يدعى يي جونج من مقاطعة هونان، وقد فشل في اجتياز امتحاناته وشعر باليأس، فتوقف للصلاة في معبد وو وانغ إله الغربان الطاوي⁽¹⁾. وكاد الشاب أن يجلس ليستريح عندما جاءه خادم وقاده إلى حضرة وو يانغ نفسه. وبناء على أوامر الإله مُنح الطالب المسكين ثوباً أسود، عندما ارتداه تحوّل إلى غراب. وتزوج من غراب أنثى تدعى شو شيينغ ومعاً وبرفقة آخرين من سربهما كان يلتقط الكعك وبقايا اللحم التي

(1) الطاوية: مجموعة من التقاليد والمبادئ الفلسفية والدينية التي سادت في شرق آسيا لأكثر من ٢٠٠٠ عام وترتكز على ثلاثة مبادئ: التعاطف والاعتدال والتواضع.

على الرغم من السمعة
السلبية بشكل عام التي
ترافق الغربان في الثقافة
الاسلامية، فإن رواة القصص
والفنانين معجبون بذكائها في
الحكاية الخرافية «الغربان التي
احتالت على البوم وحبستها
في الكهف». وهذه الصورة
تعود إلى القرن الرابع عشر من
مجموعة من القصص العربية
الخرافية في كتاب «كليلة
ودمنة» وهو ترجمة عن الكتاب
الهندي المبادئ الخمسة
Panchatantra.

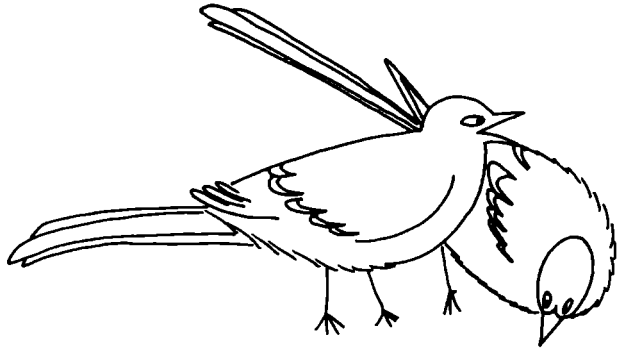


يلقيها البحارة من أجل الحظ. ومع ذلك لم يتمكن الشاب من العمل
بنصائح زوجته واقرب من البشر مغامراً فأصابه سهم جندي في صدره.
وفجأة عثر على بي جونغ نفسه في هيئته البشرية وهو يتمدد مصاباً على
أرض المعبد. ولدى شفائه لم ينس حياته كغراب مع شو سيينغ وعاد للتعبد
في المعبد، والتضرع لـوو وانغ وترك طعاماً للغربان. ولاحقاً، وبعد أن اجتاز
بي جونغ امتحاناته قدّم خروفاً كأضحية مما جلب سرباً من الطيور وكانت
شو سيينغ من بينهم والتي أصبحت روحاً للنهر. وأعادت الثوب الأسود
لزوجها وأخبرته أنه لو رغب في رؤيتها فكل ما عليه هو ارتداء الثوب الأسود
والتحليق إلى منزلها.

وفي الملحمة الشعرية الهندية القديمة رامايانا⁽¹⁾، يتخذ ياما
إله الموت شكل غراب ليختبئ من الشيطان رافانا. ولدى عودته إلى شكله

(1) تُنسب إلى الحكيم الهندي فالميكي وتشكل جزءاً مهماً من الشريعة الهندوسية.

تصميم لوعاء فخاري
ياباني مصنوع في القرن
التاسع عشر ويظهر فيه
غرابا عقق.

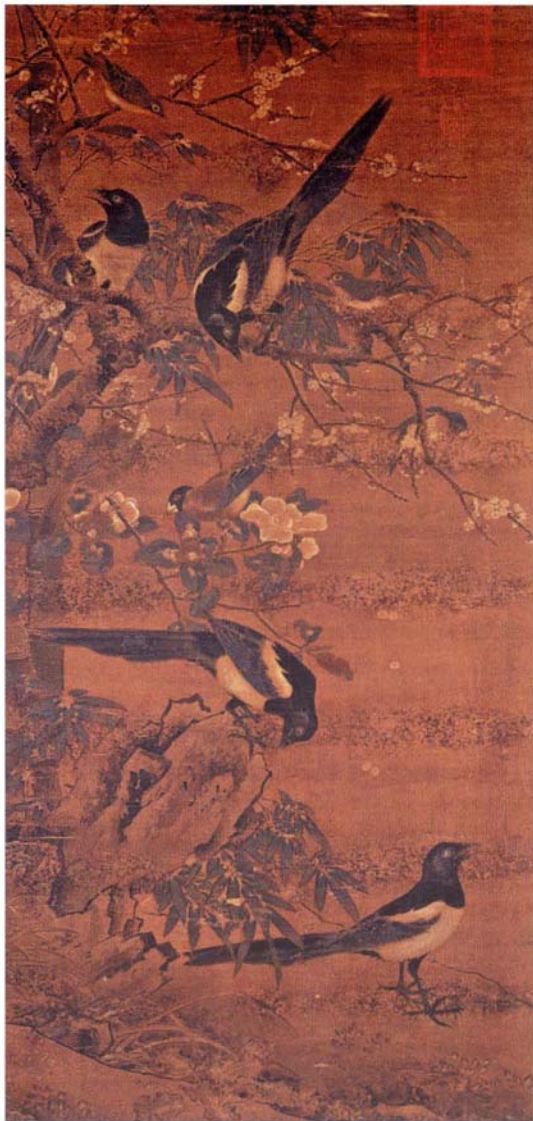


الحقيقي، يبارك ياما الغراب قائلاً إن هذا الطائر لن يموت أو يشيخ أو يمرض أبداً ولكن مع ذلك يمكن أن يُقتل. وبسبب هذه المباركة تأكل الغربان قبل البشر حتى في أوقات المجاعات القاسية. وبعض الهندوس يتركون الطعام للغربان كتقدمة لياما على أمل أن يكون رحيماً مع أصدقائهم وعائلاتهم الراحلين. ولكن الغراب في الهندوسية لا يُنسب إلى ياما فقط بل أيضاً إلى فارونا ملك السموات الحكيم.

قد يكون اليوم مشهوراً بالحكمة في التراث الشعبي الغربي ولكن في الهند فإن هذا الشرف يعود للغراب. وفي كلا المعتقدين فإن الغربان واليوم تقتتل فيما بينها في حرب ملحمية، قد تمثل الصراع بين النهار والليل. ويخصص كتاب المبادئ الخمسة Panchatantra، وهو شعر ملحمي عظيم عن الحيوانات من التراث الهندوسي، فصلاً كاملاً للصراع بين الغربان واليوم.

ذات مرة اجتمعت الطيور لتختار لها ملكاً واختارت اليوم لمظهره الجليل، وبينما كانوا يحضرون لتتويج رائع يجلس فيه اليوم على عرش ذهبي تزينه الأسود ويلقي فيه البراهمانيون^(١) Brahmins الشعر وتغني الحسانوات، يظهر الغراب أذكي الطيور فجأة ويضحك من اختيارهم فقد كان اليوم قبيحاً

(١) أعضاء في أعلى هيئة دينية لدى الهندوس.



يعرف غراب العقعق في
الصين على أنه «طائر الفرخ»
ويرتبط بشكل خاص بالبركة
الزوجية. ويصور الفنان زاو
شانغ أربعة طيور عقعق Four
Magpies على اللقافة
الخريفية التي تعود لعهد سلالة
سونغ الحاكمة^(١)، كما لو أنها
أزواج على الرغم من أن
رمزيتها ليست واضحة بسبب
أسلوب الفنان الواقعي.

(١) سلالة من الحكام الصينيين
حكمت الصين ما بين ٩٦٠.
١٢٧٩ م.

جداً بمنقاره المعقوف وعينه الجانبيتين. وأضاف الغراب أن الرقة ليست من صفات البوم وأن الشفقة ليست من طبيعته. وإلى جانب ذلك، فإن للطيور ملكاً هو الجارودا، الكائن ذو رأس النسر للإله فيشنو (١) Vishnu وإن اتخذ ملك آخر سيكون إهانة للسموات. ومضى الغراب بسرد حكايات كثيرة عن هؤلاء الذين قاموا بخيارات حمقاء ودفعوا ثمن ذلك. ووافقت الطيور الأخرى على ما قاله وطارت بعيداً. وعند المساء جاء البوم الذي كان نائماً طوال النهار، ليحضر حفل تتويجه، وعلم بما حصل ووقعت العداوة بين البوم والغراب منذ ذلك الحين.

وما حصل لاحقاً هو حكاية عن خيانة دنيئة وشرسة، تشبه حروب شيوخ القبائل الصغيرة في العالم القديم. كان ملك غرابان يدعى كلودي يحكم مع بلاطه شجرة تين عظيمة، في حين أن ملك البوم ويدعى فو كروشر أقام بلاطه في كهف مجاور، وقام مع حاشيته بقتل كل غراب يصادفونه حتى اكتست قاعدة شجرة التين بجثث الغرابان. وأخيراً دبّر غراب ذكي يدعى لبيف سترونغ خطة للانتقام من البوم.

في شجار مدبر أهان كلودي لبيف سترونغ ونقره برقة حتى غطاه بالدم وطار إلى بلاطه. وكما خطط الغراب، نقل الجواسيس أخبار هذا الشجار إلى فو كروشر والذي رحب بلييف سترونغ كحليف للبوم. وسحر الغراب المخادع ملك البوم حتى أنه منحه أطايب الطعام، وعاش خارج كهف البوم حيث قام بالتدريج ببناء كومة من العيدان. وفي أحد الأيام، وبينما كان البوم نياماً جاءت الغرابان وأشعلت فيها النار وأحرقت خصومها حتى الموت.

ولعل أكثر الطيور سحراً في عائلة الغرابيات هو غراب العقعق، المعروف في الشرق والغرب بثرثرته الدائمة وسرقته الأشياء اللماعة. ويُعرف غراب العقعق العادي (بيكا بيكا Pica Pica) بعلامات متناقضة من الأبيض والأسود في غالبية القارة الأوروبية - آسيوية وأجزاء من الولايات المتحدة. وإن كان مظهر غراب العقعق الأخضر في شرق آسيا لافتاً للنظر أكثر، بريش

(١) الإله الثاني في الثالوث الهندوسي (براهما وفيشنو وشيفا).

لامع كما لو أنه طائر من الجنة. وعلى الرغم جميع طرقه الملتوية فلا يزال رمزاً للحياة العائلية حيث أنه يبني أعشاشاً مقببة ومعقدة بشكل غير مألوف تتدلى من الأغصان ويتم الدخول إليها من جانب واحد. ويعني اسم طائر العقعق باللغة الصينية حرفياً: (طائر الفرح)، وهو يُعرف على أنه حامل البشائر الجيدة.

وبالإضافة إلى ذلك كله، فإن غربان العقعق نصيرة الحب، حيث تدور إحدى الحكايات المشهورة، والتي يوجد لها أشكال عديدة من الروايات في غالبية شرق آسيا، حول الفتاة الخائكة زي نو والتي تزوجت من شاب يدعى كيان نيو يعمل راعياً للثيران. كانت الفتاة الخائكة حفيذة امبراطور السماء وكانت مهمتها حياة القماش السماوي من نماذج الغيوم. لكنها بعد زواجها أصبحت تمضي وقتها كله تضحك وتلهو مع زوجها وأهملت واجباتها. وأخيراً قرر امبراطور السماء أنهما يجب أن يفترقا فوضع زي نو في السماء الشرقية وكيان نيو في السماء الغربية ووضع بينها درب التبانة، وعندها بكى الزوجان كثيراً حتى حدثت فيضانات عظيمة في الأرض.

وفي النهاية، في اليوم السابع من الشهر السابع من السنة الصينية، طارت غربان العقعق (وفي بعض الروايات الغربان) وشكلت جسراً عبر السماء بين الفتاة الخائكة نجمة فيغا Vega (النسر الواقع⁽¹⁾) وبين الراعي نجمة النسر⁽²⁾ Altair على طرفي السماء وفي كل عام تجمعهما الطيور معا.

(1) أكثر النجوم لمعاناً في كوكبة ليرا أو السلياق في النصف الشمالي من الكرة الأرضية.
(2) أكثر النجوم لمعاناً في كوكبة اكيلا أو العقاب في النصف الشمالي في الكرة الأرضية.

5- ثقافة سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر)

الأرض. الغراب

الأرض. الغراب

أحضرها الغراب معه

أحضرها الغراب معه

من أغنية لهنود الأراباهو⁽¹⁾

إنَّ أبرز ظهور للغراب أو الغراب الأسود كان في أساطير أقصى الشمال، ويعود السبب جزئياً في هذا الى أن اللون الأسود للغراب يظهر بشكل دراماتيكي في مقابل لون الثلج الأبيض، وأيضاً قد يعود السبب جزئياً إلى أن صرخات الغراب يتردد صداها بقوة في السكون القطبي. ولكن التفسير الأكثر أهمية هو الخوف والإعجاب بقدرة الغراب على البقاء حياً بالاعتماد على الجيف، في المناطق الشمالية القاسية، حيث ينذر وجود طعام كاف. يتشارك الانويت (الاسكيمو) وسكان الساحل الشمالي الغربي عبادة الغراب أو الغراب الأسود مع سكان سيبيريا مثل قبائل الكوريالك، والتي توحي بأن هذه الأساطير قد ارتحلت عبر مضيق بيرينغ. ولم يميز سكان أمريكا الأصليون بوضوح بين الغراب والغراب الأسود، شأنهم في ذلك شأن الأوروبيين قبل الفترة الحديثة. وعلى أية حال، يبدو أن الغراب (كما سندعوه لتسهيل الأمر) يقوم بتغيير شكله وشخصيته باستمرار خلال مسار المغامرات.

كانت للغراب شهرة واسعة في معرفة النبوءات بين الانويت (الاسكيمو) كما هو الحال في أوروبا وآسيا، حيث يقوم الانويت (الاسكيمو) في بعض الأحيان بالاحتفاظ بمخلب غراب كتميمة (طلسم) ليساعدهم في البحث عن الطعام، على اعتبار أن الغربان تظهر دائماً عندما يُقتل حيوان أو إنسان..

(1) قبيلة من سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر). في الماضي عاشوا في غرب كولورادو وجنوب شرق وايومنغ واليوم يعيشون في اوكلاهوما ووايومنغ في الولايات المتحدة الامريكية

في بعض الأحيان ولدى رؤيتهم للغربان تخلق فوق رؤوسهم كانوا ينادون عليها متسائلين ما إذا رأت أياً (غزال الرنة) أو دباً. كانوا يعتقدون (وفي الأغلب أنهم لا زالوا) أن الغربان ستحني أحد جناحيها لترشداهم الى حيث الطريدة. ويقول الانويت (الاسكيمو) أنه غالباً ما يُرى غراب يطير فوق كوخ الشامان عندما تغادر روحه جسده لتبدأ التحليق .

وتحكي إحدى أساطير التكوين القليلة لدى الانويت (الاسكيمو) عن كائن يدعى تولونغوساك Tulungusaq، والذي انبثق من السماء. وعندما أراه السنونو الطين الموجود في أسفل الفراغ، اتخذ شكل غراب أو غراب أسود ليستعيد هذه المادة القديمة (البدائية) وليشكل منها النباتات والحيوانات والرجال، وعندما استفاق من دهشته لما كَوّن قام الغراب بصنع النساء ليرافقن الرجال، وأخيراً صنع الشمس والقمر ليخفف من الظلمة البدائية.

ويتميز هنود قبيلة هايدا، الذين يعيشون في جزر الملكة شارلوت⁽¹⁾، بين مجموعتين من القصص حول الغراب. ففي مجموعة الغراب الأعظم، والتي عادة ما تحكى بنغمات شعائرية، كان الغراب هو الخالق الذي أُوجد الأرض على البحر اللانهائي. وهذا الغراب هو من كَوّن البشر من كل من الصخر وأوراق النباتات، ولكن البشر المصنوعين من الصخر لم يكتمل تكوينهم أبداً، في حين أن البشر المصنوعين من أوراق الشجر سرعان ما كانوا مستعدين للتحرك. وعرف الغراب الأعظم البشر على ورقة الشجر وأخبرهم أنهم مثل هذه الأوراق سيسقطون ويتفسخون حتى لا يبقى منهم شيء، وبهذه الطريقة أتى الموت إلى العالم.

تحكي إحدى الأساطير أن الغراب الأعظم كانت لديه أخت ولكنه لم يشأ أن تلد ذكوراً خوفاً من أن يقوموا بتحديه، وكان لها أطفال كثر قام بقتلهم جميعاً. وبناء على اقتراح مالك الحزين (طائر البلشون) ابتلعت الشقيقة حجراً ملتتهياً وأصبحت حاملاً بسببه، ثم ولدت الغراب الأصغر والذي كان

(1) أرخبيل من الجزر على ساحل كولومبيا البريطانية في كندا.

تصميم لزورق هندي

كانو) لدى قبيلة

Kwakiutl كواكيوتل

على شكل غراب.



صلياً كالحجارة وقادرا على العيش إلى الأبد. وعندما رأى الغراب الأعظم ما حدث، منح الطائر الشاب السيادة على العالم وانسحب. وعثر على رواية مختلفة لهذه الاسطورة بين هنود أثاباسكان Athabaskan في شمالي كندا والتي تأثرت ربما بالمسيحية. ففي حكاية تذكرنا بقصة قابيل وهابيل، يحكي هنود اثاباسكان عن الغرابين الأولين، أحدهما كان أبيض اللون والثاني أسود اللون، حيث خلق الغراب الأبيض العالم ولكن الغراب الأسود أعمته الغيرة فقتل أخاه.

يشبه الغراب الأصغر الذئب الأمريكي (القيوط) وهو أكثر المخادعين شهرة بين هنود الجنوب الغربي للولايات المتحدة، حيث كان كل من الشخصيتين الأسطورتين مضحكاً وحكيماً، ولكن في حين أن الذئب الأمريكي (القيوط) كان معروفاً برغباته الجنسية، اشتهر الغراب بنهمه، وهذا كان الدمار الضروري لبدء سلسلة تكوين جديدة في الحلقة الأبدية للموت والولادة، حيث لعب الغراب دوراً كبيراً في تشكيل العالم ومع ذلك فإن ذلك كان نتيجة عرضية لخداعه.

كانت سرقة الغراب لنور العالم من أشهر مآثره، وهي قصة تحكي بروايات عديدة بين قبائل الساحل الشمالي الغربي. يورد هنود تسيمشان Tsimshan أن الغراب قام بنثر السمك والفواكه على طول العالم حتي يجد دائماً ما يأكله، ولكنه خشي أن يكون العثور على هذا الطعام صعباً، حيث أن العالم كان لا يزال يعيش في الظلام. فطار الغراب من خلال فتحة في السماء حيث عثر على عالم يشبه عالمنا كثيراً. وأتت ابنة زعيم

مقدمة زروق (كانو)

بطول عشرين متراً

كان مستخدماً من قبل

عشيرة الغراب من هنود

التلينغيت Tlingit.

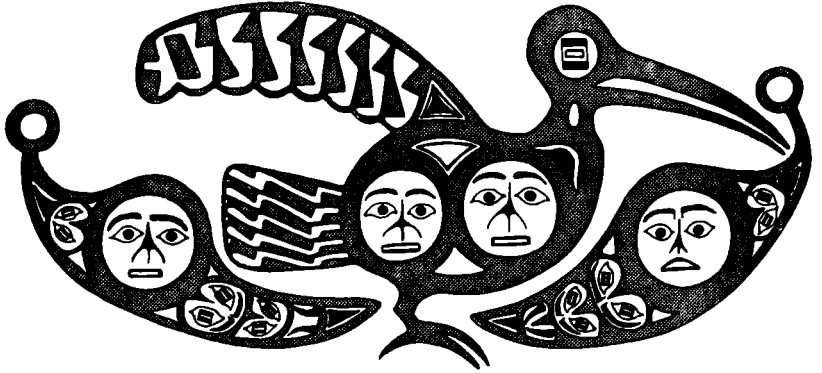
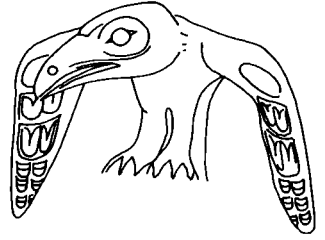
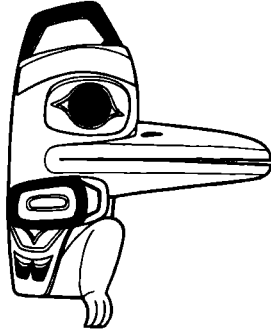


الجنة لتعرف بعض الماء من الجدول، وحوّل الغراب نفسه الى هيئة ورقة ابرية من شجرة أرز وطفا الى دلوها، وعندما شربت الأميرة الماء دخل الغراب إلى جسدها وأصبحت حاملاً وولدت الغراب في هيئة صبي صغير. افتتّن الزعيم وزوجته بالطفل الرضيع وسمح له باللعب بالصندوق الذي يحتوي على ضوء النهار. وفجأة فرّ الغراب هارباً وهو يحمل الصندوق واستعاد هيئته الأصلية وطار عائداً إلى الأرض عبر الفتحة في السماء. وفيما بعد، كسر الغراب الصندوق في فورة غضب، وامتلات السماء بالشمس والقمر والنجوم.

قد يذكرنا تعقيد وغموض وتغيرات الهيئة المتكررة التي يقوم بها الغراب في قصص سكان أمريكا الأصليين في الساحل الشمالي الغربي بالعديد من آلهة العالم القديم، حيث يشبه الغراب قليلاً الإله دينوزيوس اليوناني^(١) والإله النرويجي لوكي أو الإله سيفا الهندوسي على الرغم من أنه أقل تجسداً بكثير من أي منهم. وبسبب حيويته المفرطة يمكن أن يكون شخصية يصعب الارتباط بها، على الأقل بالنسبة لغير الأعضاء في الثقافات القبلية

(١) اله الخمر والخصوبة عند اليونان.

صورة تمثل غراباً منحوتاً
على عمود طوطمي في
الساحل الشمالي الغربي
لأمريكا الشمالية.



لتابعيه. ويمكن ان تصبح الحكايات معقدة جداً لدرجة أن شخصية الغراب تغدو مبدأً تجريدياً أكثر منها حيواناً. وفي الحقيقة، قد تشبه نوعاً ما القصص التي يرويها علماء الكونيات المعاصرون حول القوى البدائية أو الجسيمات في بداية الكون.

وأصبح الغراب بين هنود الجنوب الغربي مركز الشعائر المباركة ما يبدو محزناً بشكل عميق اذا استعدنا أحداث هذه الفترة. عادة ما يتذكر الأمريكيون العقد الأخير من القرن التاسع عشر على أنه (فترة التسعينات السعيدة)، وهي فترة التوسع الاقتصادي غير المحدود، حيث كان رجال



رقصة الغراب كما يؤديها
الأمريكيون الأصليون في
التسعينات من القرن الثامن
عشر، سجلها رسام معاصر.

الأعمال مثل ج.ب. مورغان ينون امبراطوريات مالية هائلة، وتم تشييد
سكك حديدية شاسعة على امتداد أمريكا الشمالية مما فتح أمام المستوطنين
الأوروبيين أماكن كانت مُحَرَّمة من قبل، وكان هنري فورد في بداية تصنيع
أوائل السيارات الأمريكية. لكن بالنسبة للهنود الحمر هذه الفترة لم تكن
سعيدة على الإطلاق. كانت طرق حياتهم التقليدية على وشك الاختفاء
وكذلك قطعان الجاموس التي يعتمد عليها الكثير منهم في معيشتهم، وحجم
محمياتهم أخذ بالتناقص باستمرار حتى أن الهنود الحمر أنفسهم استمروا
بالوقوع فريسة للأمراض وللادمان على الكحول .

حوالي عام ١٨٩٠ وخلال الكسوف الشمسي راودت أحد هنود
البايوت ويسمى وفوكا، رؤيا ادعى أنه رأى الرب فيها، وعاد ليخبر قومه أنه
عليهم أن يحبوا بعضهم ويعيشوا بسلام مع البيض ويترفعوا عن الكذب أو
السرقة. عندها فقط سيعيد اليهم الرب أرضهم الى ما كانت عليه وستعود
الطرائد وسينهض أجدادهم من بين الموتى، وسيعيش الهنود الحمر في عالم
متجدد خال من الشيخوخة والمرض والموت. وللأسراع بحدوث هذا التغيير
قام الهنود بأداء رقصة خمسة أيام وخمس ليالٍ مع فترات استراحة قصيرة.

اعتبر الهنود الحمر ظهور فوكا على أنه مجيء المسيح الثاني على الرغم من أنه لم يدع هذا.

جددت الشعائر الجديدة الأمل ولكنها بلغت ذروتها بمأساة كبيرة، حيث سرعان ما أصبح هناك العديد من النسخ والتفسيرات لرقص الأشباح بين القبائل المختلفة. واعتقد بعضهم أن الأرض المستعادة ستكون لجميع الهنود أو فقط لهؤلاء الذين تقبلوا النبي، في حين اعتقد آخرون أن جميع الأعراق ستتشاركها، واعتبر هنود السيوكس تعاليم فوكا السلمية في الأصل كخطة حرب. وفي تلك الأثناء كانت الهيئات الحكومية تشعر بالخوف من اتحاد قبائل الهنود في أداء طقوس غامضة. وكانت النتيجة تصعيد التوتر الذي بلغ ذروته في مذبحة وونديد ني Wounded Knee في كانون الأول ١٨٩٠ وبالقبضاء الكامل على طريقة حياة الهنود الحمر التقليدية.

كان النسرو هو الطائر المركزي في معظم أساطير الهنود الحمر على امتداد الولايات المتحدة، ولكن في أوقات الأزمات كانوا يفكرون بالغراب أكثر. كان النسرو رمزاً للشمس وللترتيب الكوني والذي قد يوفر الهاماً في الأوقات العادية، ولكن في أوقات الأزمات الشديدة بدا أن الغراب يقدم أملاً أكبر في العزاء، كونه يمثل النور والظلام في آن معاً. كان الوصول إلى الغراب أكثر سهولة وكذلك كان هو الناجي الجوهري. وغالباً ما كان يوضع غراب محنط في مركز الدائرة التي يتحرك فيها الراقصون، وكذلك كان الغراب ممثلاً على قمصانهم وطماقمهم وأحذيتهم وكان الراقصون يقلدون نداءات الغراب كأحداث النبوءات.

دائماً ما لجأ الناس في أوقات اليأس إلى التقاليد الدينية القديمة، حيث ورد في الانجيل مثال على ذلك، وهو أنه أثناء هروب اليهود من مصر ارتدوا إلى الديانة المصرية وعبدوا عجلًا ذهبياً. وفيما بعد، كادوا أن ينسوا يهوه إله قبيلتهم، ولكنهم كانوا يعودون إلى عبادته كلما أصبح وجودهم مهدداً. وربما كان تجديد تبجيل الغراب والذي كان أساسياً بالنسبة للمهاجرين الأوائل الذين عبروا مضيق بيرينغ إلى العالم الجديد شبيهاً بذلك. كانت ديانة رقص

الأشباح هي عودة قوم غالباً ما اعتُبروا بدائين على أية حال إلى تقاليد قديمة شبه منسية.

وفي الوقت نفسه كانت اعتناقاً للمسيحية وربما بطريقة أصيلة أكثر من تلك التي اتبعتها الأوروبيون الذين أدخلوها. كانت ديانة رقص الأشباح الوجدانية تحمل آلاف التوقعات، وتشبه كثيراً المسيحيين الأوائل، أكثر من الايمان البيروقراطي للمستوطنين الأوروبيين، حيث عاش المسيحيون الأوائل، مثل أتباع ديانة الأشباح الراقصة، وهم يترقبون تغير العالم الوشيك الحدوث، وهم مثل الهنود أيضاً قد وضعوا إيمانهم في التجربة القديمة أكثر منها في التعاليم التي وصلتهم. وكان الغراب في ديانة رقص الأشباح نظير الحمامة تقريباً رمز الروح القدس بالنسبة لتابعي المسيح الأصليين.

في بعض الأحيان كان قادة رقص الأشباح يرتدون ريش النسر ولكنهم في الغالب كانوا يرتدون ما يعرف باسم (واكونا) «wakuna» وهو يتألف من ريشتي غراب تُربطان معاً عند القاعدة ولكنهما متباعدتان قليلاً عن بعضهما، ويضعهما الراقص على رأسه وكذلك الراقصون الآخرون يضعون ريشاً ملوناً ومرتباً بعناية قبل بدء الطقوس. يمثل هذا الريش الأجنحة الملائكية التي بواسطتها سيرتقي الراقص إلى الجنة. وتقول إحدى الأغنيات التي تُغنى خلال رقص الأشباح بين هنود الأرباهو:

يا أولادي، يا أولادي
الرياح تجعل الريش على الرأس يغني -
الرياح تجعل الريش على الرأس يغني.
يا أولادي. يا أولادي (١)

وتقول أغنية أخرى:

أباننا، الزوبعة

أباننا، الزوبعة

يرتدي الآن عُصابة رأس من ريش الغراب
يرتدي الآن عُصابة رأس من ريش الغراب (٢).

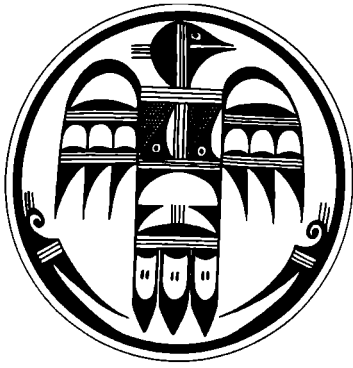
وأثنت العديد من الأغنيات الأخرى على الغراب، حيث كان يتم تأليفها وغناؤها بشكل عفوي أثناء رقص الأشباح كاستجابة للرؤى حول الأجداد الراحلين أو الأرواح التي يلمحها الراقصون خلال نشوتهم. وهذه اللازمة لأغنية مشهورة أخرى بين هنود الأرباهو.

الغراب يدور فوق
الغراب يدور فوق
الغراب قادم من أجلي
الغراب قادم من أجلي (٣).

رأى الراقص الذي ألف هذه الأغنية غراباً يحلق فوق رأسه، واعتقد أنه كان مبعوثاً ليقوده إلى أقاربه الراحلين.

احتفظت الرقصات والطقوس التي تتمحور حول الغراب حتى يومنا هذا بأهميتها بالنسبة للهنود في جريت بلاينز Great Plains، ليس كطقوس تُمارس في العلن بقدر ما تتم في الجمعيات الطقسية. فمثلاً، لدى هنود الباوني جمعية تدعى جمعية رمح الغراب، أنشأها كشاف عشرت الحيوانات على جثته، وأرادت الذئاب الأمريكية (القيوط) أن تلتهم جسده ولكن الغربان أحيتته وقادته إلى كهف حيث رقص مع الغربان لثلاث ليالٍ، وبعد انتهاء شعائر عودته منح رمحاً مغطىً بريش الغربان وهذا الرمح يؤدي إلى النجاح في الصيد وفي الحرب.

اعتبر هنود الهوبي الذين يعيشون في الجنوب الغربي لأمريكا ويعتمدون في معيشتهم على الزراعة الغراب حشرة ضارة، على الرغم من أنهم أيضاً كانوا يكونون للغراب احتراماً تسوده النقمة. وتحكي إحدى قصص هنود



الهوبي كيف أن الغراب دعا في إحدى المرات صديقه الصقر إلى العشاء،
وقدم له أفعى ثور^(١) كثيرة الدهون وقد بدأت بالتفسخ فعلاً. تظاهر الصقر
بالأكل بكل تهذيب حتى أنه امتدح الغراب لفنه في الطبخ في حين أنه كان
يخطط للانتقام. وبعد فترة وجيزة، قام الصقر بدعوة الغراب إلى العشاء،
وقدم له طعاماً عفنًا مؤلفاً من جلد وأحشاء الأرنب، وبدلاً من أن يستدير
الغراب متقرزاً، أنهى طعامه بنهم تاركاً الصقر حانقاً أكثر من قبل.

ومع ذلك، يمكن أن يكون الغراب رمزاً للتربية (الاحتضان) ووفقاً لبعض
هنود الهوبي، فإن الجدة الأم لجميع الكاتشينا والتي تعيش في عالم الأرواح
كانت شخصية تُعرف باسم الغراب الأم؛ تنمو أجنحة غراب من رأسها
وغالباً ما تحمل وعاءً من الماء وهو مصدر الحياة، وتشرف على شعائر انتقال
الشباب إلى مرحلة الرشد. ولدى بعض الهنود الحمر في الشمال الشرقي
للولايات المتحدة مثل هنود ليناب Lenape في نيويورك أساطير تقول إن
الغراب كان أول من أحضر حبوب القمح للبشر.

ووفقاً لإحدى الأساطير لدى هنود ليناب Lenape في بنسلفانيا، فإنه
كان للغراب ريش ملون ساطع وصوت رخيم. وعندما بدأ الثلج يغطي العالم
للمرة الأولى، تم إرسال الغراب كمبعوث إلى الخالق، ولكنه كان مشغولاً

إلى اليسار: تصميم يظهر
طائراً، ربما كان غراباً، على
وعاء فخاري من القرن
العشرين لهنود الهوبي.
إلى اليمين: الغراب الأم
يرافقها اثنان من الكاتشينا^(١)
kachinas عند أداء
طقوس انتساب الشباب إلى
مجتمع هنود الهوبي.

(١) أي من أرواح أجداد
القبيلة الراحلين.

(١) نوع من الأفاعي غير السامة المنتشرة في شمال أمريكا

صورة لقناع على شكل
غراب عند هنود كواكيوتل
Kwakiutl في عام
١٩١٤ م. اشتهر هنود
كواكيوتل بأعمدتهم
الطوطمية وأزيائهم التي
يصنعونها لكي يستطيعوا
بواسطتها تمثيل الأساطير
مثل أسطورة الغراب.



جداً ولم يلق انتباهاً إلى ضيفه غراب قوس قزح كما كان يُدعى. واستطاع
الغراب جذب انتباهه بأغنية جميلة، فأخبر الخالق الغراب أنه لا يمكن إيقاف
الثلج ولكنه أعطاه شعلة من الشمس فحملها الغراب عائداً إلى الأرض
حيث أنقذت الحيوانات بفعل الدفء الصادر عنها.
ولكن للأسف، بسبب احضاره لتلك الشعلة، احترق الغراب حتى

تحول ريشه إلى اللون الأسود وأصبح صوته أجشاً. وتقديراً لبطولته تلك، جُنِبَ الغراب سيطرة البشر، ولا تزال نداءاته تحذر الحيوانات بوجود خطر في الغابات، ولا يزال من الممكن رؤية ألوان قوس قزح تشع من ريش الغراب القائم عند النظر بدقة.

قد لا تبدو الغربان غريبة بالنسبة للناس في العالم الصناعي ولكنها كذلك بالتأكيد بالنسبة لسكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر). وربما شجعت هذه الظروف انتشار أدب الهنود الحمر في الشكل الانتقائي للروحانية المعروفة اليوم باسم (العصر الحديث). فمثلاً، يورد أحد الكتب التي صدرت مؤخراً عن علم التنجيم لدى الهنود الحمر أن: (الأشخاص من طالع الغراب هم أفراد استثنائيون بشكل خاص فهم يتصرفون كمحفز طبيعي للتغيير في حياة الآخرين، ولتحقيق ذلك، فإنهم دبلوماسيون ويظهرون اهتماماً واحتراماً كبيرين لبني جنسهم من البشر) ولكن يتوجب الحذر فإن الأشخاص من طالع الغراب يميلون للشعور بالاكئاب إذا حُرِّموا من التواصل الاجتماعي (٤).

من المشكوك فيه أن يكون هذا الوصف وياً لروحانية الهنود الحمر، ويذكرنا أسلوب الكتابة بالخرائط الفلكية المرسومة على المفارش الورقية لمطعم صيني. ويرثي الكثيرون من الهنود الحمر للروحانية التي يُسوّفها الآخرون باسمهم، في حين يقوم آخرون من الهنود الحمر بتجاهل تراثهم أو يضحكون عليه أو يشاركون في المتاجرة به. وعلى أية حال، فإن أبسط منتجات الثقافة الشعبية تحتوي عناصر الروحانية الأصيلة، وقد يكون التقدير المتجدد للحيوانات مثل الغراب، أحد الأمور التي نقلها هؤلاء الأمريكيون إلى الحضارة السائدة وإن يكن بأبسط الأشكال.

١ جيمس موني، The Ghost Dance Religion and the Sioux Outbreak of

١٨٩٠ (شيكاغو، ١٩٦٥)، الصفحة: ٢١٤.

٢ المرجع السابق، الصفحة: ٢١٩.

٣ المرجع السابق، الصفحة: ٢٣٤.

٤ بورتر، ديبى، Animal Totem Astrology: How to Use Native
American Totems to Uncover your Unique Relationship to

Nature and the Seasons (سيدني، ٢٠٠١)، الصفحة: ٣٥.

6-العصر الرومانسي

تقود غريان الشتاء العديدة صغارها ذات الأصوات العالية إلى المنزل .
تينيسون^(١)، قاعة لوكسلي Locksley Hall

وصل العالم الحديث إلى حالة دُمرت فيها العديد من الثقافات التقليدية ودفعت أنواع عديدة من الحيوانات إلى الانقراض، وأصبحت المخلوقات الأخرى مثل الأقوام (البدائية) موضوعاً للعجب والتسليه على الملعبات وبرامج التلفاز الخاصة التي تحتفي بالقليل المتبقي من عالم الطبيعة. وفي معظم الأوقات، تتعرض المخلوقات مثل الذئب والحوت إلى الملاحقة والتودد في أن معاً، حيث تتعارض فوضى الحاضر مع شكوك المستقبل المطلقة، ووجد الناس ملجأ لهم في الماضي الذي جعلوه مثاليًا. فأصبح الماضي في خيالهم أكثر عفاً وإثارة وتحضراً وبطولة أو أكثر حيوية من الزمن المعاصر، وأثارت الصورة القديمة للغراب المحلق فوق الحقول في هذه الثقافة التوّاقة إلى الماضي كلاً من الإعجاب والخوف.

إن ما نسميه (العالم الحديث) هو نتيجة لسلسلة من الانقلابات والثورات عبر القرون القليلة الماضية في المجالات الاجتماعية والسياسية والتقنية. لا يمكن للناس أن يتفقوا حتى على الوقت الذي بدأت الحداثة فيه. ومع ذلك ففي تاريخ الغريان، ربما نستطيع أن نُؤرخ ذلك اعتباراً من حريق لندن الكبير في عام ١٦٦٦. ففي ذلك التاريخ وصل تبجيل الغريان إلى نهاية مفاجئة، على الأقل بالنسبة للعديد من سكان المدن في انكلترا.

كانت الغريان، كما رأينا من قبل، محمية لفترة طويلة في انكلترا. وفي عام ١٦٦٦ نشب حريق في مخبز بالقرب من جسر لندن واستمر حوالي

(١) الشاعر الانكليزي لورد ألفريد تينيسون (١٨٠٩-١٨٩٢م).

صورة تمثل أحد
غربان برج لندن.



أسبوع، وقد دمر حوالي ١٣٠٠٠ منزل. ولم تتمكن السلطات من التعامل مع الخراب الناتج عنه أو من دفن الموتى، وأصيب الناجون بالرعب لرؤيتهم الغربان والغربان السوداء تنقر الجثث المحترقة في الشوارع. وبشكل خاص، طارت الغربان السوداء أسراباً إلى لندن من أجل الوليمة، وتضاعفت أعدادها هناك، حتى أن المواطنين ناشدوا الملك لإبادةتها. وقتلت أعداد كبيرة منها ودُمرت أعشاشها ولكن الملك تشارلز الثاني تذكر الأسطورة القديمة التي تقول ان الغربان في برج لندن تحمي مملكته. ولكن بما أنه لم يعد من الممكن احتمال الغربان البرية، أمر الملك بإحضار الغربان المحلية ليتم التعامل معها والسيطرة عليها من قبل شخص يُعرف بأنه سيد الغربان الجليل Yeoman Raven Master ..

وربما تكون الغربان قد ساعدت فعلاً في منع تفشي وباء الطاعون الدبلي

كما حدث في عامي ١٦٦٤ و١٦٦٥ في انكلترا والذي وقع ضحيته ٧٥٠٠٠ شخص. ولو لم تلتهم الغربان تلك الجثث لكانت الجرذان قد فعلت ذلك في الغالب، وكان ذلك أمراً شنيعاً كذلك ولكنه أكثر خطورة من وجهة نظر صحية. ولكننا لا نستطيع لوم سكان لندن المفجوعين لأنهم لم يفكروا بذلك. وعلى أي حال، كان مصير غربان لندن مشابهاً لمصير الذئاب والعديد من الحيوانات الأخرى في القرن الثاني عشر، فقد أصبحت عرضة للإبادة والتعاطف في آن معاً.

في عام ١٦٦٦، كانت الغربان والغربان السوداء تتصرف بشكل أو بآخر كما فعلت دائماً، وكان الناس قبيل العصر الحديث يتقبلون وجودها بشكل عام على أنه من فعل الأقدار. ولكن بحلول أواخر القرن السابع عشر



صورة لسيد الغربان
الجليل في برج لندن

صورة لسيد الغربان
الجليل وهو يُطعم أحد
غربان برج لندن



تم التخلي عن الرزاة التقليدية وبدلاً من النظر إلى الغربان على أنها تمثل الأقدار، أصبح الناس ينظرون إليها، وخاصة البريطانيين، على أنها تتحدى سيادة البشر. وأصبحت الغربان البرية خاتمة للعالم المتمدن وتم اصطيادها بكثافة أكثر في القارة الأوروبية في بلدان مثل فرنسا وألمانيا والتي اختفى فيها المنظور التقليدي للغربان منذ وقت طويل. كانت الغربان في العصور السابقة منيعة ضد الأسلحة البشرية، ولكن بفعل التطور المستمر في صناعة الأسلحة النارية تمكن الناس في العديد من المجتمعات من إبادة الغربان عملياً. وأصبحت رياضة صيد الغربان في الريف الأمريكي شائعة لتمضية الوقت على الرغم من أن الناس اعتبروا لحم الغراب كرية الطعم.

ومع ذلك كله، لم تكن الغرابيات مهددة فعلاً بالانقراض وربما قامت بتوسيع مجالها في بعض المناطق، وأصبحت الغربان السوداء خجولة أكثر حول البشر ونشبت الملجأ في الجروف والغابات البعيدة، ومن بقي منها في التجمعات المدنية الرئيسية بنى أعشاشه في أعالي الأبنية حيث من النادر رؤيتها. أما بالنسبة للغربان، فقد استمرت بالاعتماد على النفايات في المناطق المتمدنة وتكاثرت بوفرة دفعت الناس للتخلي عن أي مطمح جدي لإبادةها، على الرغم من جميع أسلحتهم والسموم التي يمتلكونها.

وحتى يومنا هذا، يستمر تقدير معين للغربان، يكاد يقارب حدود



هذه صورة من مطبوعات
عن القصص الخرافية تعود
لمنتصف القرن الثامن عشر
كتبها جان دو لافونتين^(١)
وهي تعرض معركة في
الذكاء ينال فيها الغراب من
الثعلب.

(١) شاعر وكاتب قصص
خرافية فرنسي (١٦٢١-
١٦٩٥م)

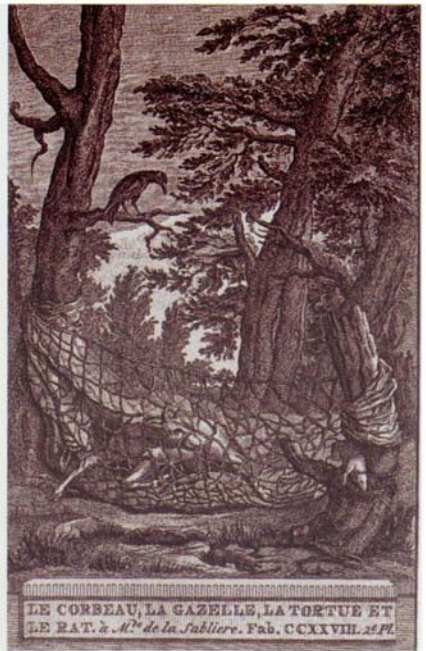
التبجيل في بعض الأحيان، في الريف الانكليزي. وكتب القس وعالم الطبيعة
جيلبرت وايت^(١) في نهاية القرن الثامن عشر بتأثر عن الغرابيات في كتابه
التاريخ الطبيعي لسلبورن^(٢) The Natural History of Selborne.
يتحدث وايت في كتابه عن عائلات من الغربان السوداء أقامت أعشاشها
عالياً فوق نتوء على شجرة بلوط ضخمة على طرف المدينة منذ زمن طويل لا
أحد يستطيع أن يتذكره، وحاول الفتية لأجيال عديدة تسلق تلك الشجرة
بلا جدوى ثم استسلموا للصعوبة المهمة. أخيراً، قُطعت شجرة البلوط لتوفير
الخشب لبناء جسر لندن، وتم إحداث فتحة في الجذع ووضعت فيها أوتاد، ثم
تم إضعاف الخشب بضربات مطرقة قوية حتى بدأ الجذع بالسقوط في النهاية.

(١) ١٧٢٠-١٧٩٣ م.

(٢) سلبورن هي قرية في شرق مقاطعة هامبشاير في انكلترا.



LE CORBEAU VOULANT IMITER L'ÉAGLE
FABR. XXXVIII.



LE CORBEAU, LA GAZELLE, LA TORTUE ET
LE RAT. à M^{re} de la Sablière. Fab. CCXXVIII. 25 P.

هذه الصورة تمثل محاولات

الغراب الفاشلة لتقليد

النسر في صورة من القصص

الخرافية لجان دو لافونتين.

صورة أخرى من القصص

الخرافية للافونتين يتصرف

فيها الغراب كحارس

للحيوانات الأخرى ويساعد

في إنقاذها من الأفناخ.

ولكن الغراب الأم رفضت أن تترك عشها وصغارها فألقيت إلى الأرض وقُتلت. وعلق القس وايت والذي كان يراقب من مكان قريب جداً ولم يكن يميل أبداً إلى المشاهد العاطفية (إن عاطفتها الأمومية تستحق مصيراً أفضل) (١) ويمكن أن يراها القراء كشهيدة الصناعة والتجارة.

وفي الواقع، ازداد افتتاح الناس بالحيوانات في الوقت الذي أصبحوا فيه بعيدين عن الطبيعة، وتوالى ظهور الأساطير المتحضرة حول الحيوانات في القرنين الثامن والتاسع عشر بدءاً من الديكة الرومية التي تتحدث العربية بطلاقة وانتهاءً بالكلاب التي تحمل جرائم القتل.

وهناك أيضاً قصة غراب الملكة ماري أنطوانيت، والتي يمكن تصديقها إلى حد ما. تبدأ القصة بينما كانت ملكة فرنسا تتناول الفطور في أكتوبر. تشرين الأول من عام ١٧٨٥ على جزيرة تابعة لقصر فرساي الملكي، وكانت



112

قد غمست للتو قطعة من البسكويت في فنجان من الحليب عندما حط على الصفحة المقابلة: لوحة غراب ونظر إليها وبدأ يخفق جناحية بلطف. وعلى الرغم من أنها اندهشت بعنوان Don Manuel Osorio Manrique في البداية إلا أن الملكة أعطت الغراب ما بقي من قطعة البسكويت، وبدأت بينهما صداقة. كانت الملكة تطعم الغراب كل صباح ثم يتبعها الغراب من شجرة إلى أخرى وهي تنتزه في المكان. وعندما قطع رأس ماري أنطوانيت في عام ١٧٩٣ بدا أن الغراب قد اختفى لعدة سنوات. ولكن في عام ١٨١٠ (١٧٨٨) تعرض موهبة هذا بينما كانت ماري لويس النمساوية التي تزوجت مؤخراً من نابليون، تتناول إفطارها على نفس الجزيرة عندما لمحت الغراب، والذي كان يحلق فوق جناحها وهو ينبع بصوت مرتفع، على أمل أن يشاركها طعامها كما يبدو. وعندما أحبرت ماري لويس نابليون بأمر الغراب، ظن أن هذا نذير حظ سيئ وأمرها بالرحيل عن فرساي فوراً. وفعلاً سرعان ما تبعهما الحظ السيئ، على الرغم من أنه أصاب الامبراطور أكثر من زوجته. ففي عام ١٨١٦ وبعد أن عانى نابليون من هزيمته المشؤومة في واترلو ونفي إلى جزيرة سانت هيلانة، قامت ماري لويس بزيارة تلك الجزيرة في فرساي برفقة والدها حيث سمعت فجأة نداء ونظرت إلى الأعلى لترى الغراب وصرخت مدعورة. لكن البستاني والخدم كانوا يعتبرون الغراب رقيقاً قديماً وقاموا بإطعام الطائر بقية حياته وكان الزوار يأتون من أمكنة بعيدة ليروا صديق ماري أنطوانيت. ليس تصرف الطائر هو ما يشير الشكوك حول هذه القصة بل تصرف البشر، فمن الصعب ملاحظة الغربان المنفردة إن لم تكن غراباً، وخاصة عن بعد، فكيف يستطيع أي كان أن يكون متأكداً من أنه هو نفس الغراب الذي اقترب من ماري أنطوانيت وماري لويس وآخرين. أليس من الممكن أن يكونا غرابين أو حتى عدة غربان مختلفة. ومهما كانت الحالة، فإن هذه القصة توضح كيف تعود الخرافات بقوة في أوقات الأزمات. وقد يخيف نداء الغراب، والذي كان يعتبر فيما مضى طائراً مشؤوماً، حتى شخصاً براجماتياً مثل نابليون. وصف العديد من الكتاب في القرن التاسع عشر، بمن فيهم علماء طبيعة مهمون، الحيوانات بتعبيرات مجسمة تشابه في طرفها، على

(١) رسام إسباني يعتبر من آخر الأسانذة القدامى في فن الرسم (١٧٤٦-١٨٢٨ م)



تستفيد الغربان من جهود
الانسان في المشهد المبدئي
لما وراء المدينة في لوحة
كاسير دايفيد فريدريك^(١)،
التل والحقل المحروث بقرب
دريسدن^(٢) Hill and
Ploughed Field
near Dresden
رسمها بين عامي (١٨٢٤-
١٨٢٥).

الأقل، تلك التي استعملها من كتبوا عن الحيوانات في العصور الوسطى.
حيث كتب أحد هواة الطبيعة في بدايات القرن التاسع عشر:

يُضرب المثل بالتنظيم الذي تمتلكه غرابان الروك Rook وعلى هؤلاء
أن يعترفوا بفضل الغربان من أجل الموهبة نفسها التي شهدت إجراءات
محكمة الغربان. هذه الإجراءات، والتي تبدو في بعض نواحيها مشابهة
لجلسات المحاكم السرية كما تم تمثيل ترتيبها في ألمانيا، حيث كانت تُعقد
عادة في أماكن برية غير مطروقة وفي أيام الأحاد الضبابية^(٢).

لم يكن الناس في ذلك العصر، كما هو الحال ربما في عصرنا الحالي،
بحاجة إلى البحث في الماضي عن أساطير مشرقة، في الوقت الذي توجد فيه
قصص خيالية مشرقة معاصرة. لكنَّ الشعراء الرومانسيين في ذلك الوقت
كانوا يشعرون بالخشية والرعب والتهديد الذي يشكله العلم المتطور بالنسبة
لهم، وقد أخطأوا بشعورهم بالخوف من أن تقوم العقلانية بإزالة قوة الخيال
البشري.

وقد يكون خير مثال على الرومانسية الحكايات الخرافية للأخوين

(١) رسام المناظر الطبيعية
الاماني في القرن التاسع
عشر (١٧٧٤-١٨٤٠ م)
(٢) مدينة ألمانية تقع في وادٍ
على نهر الإلب

جاكوب وويلهلم جريم، والتي نشر منها سبعة إصدارات بين عامي ١٨١٢ و١٨٥٦، وتبوأت المرتبة الثانية بعد الانجيل من حيث سعة الانتشار في ألمانيا وربما في العالم الغربي. قام الأخوان بجمع هذه القصص، خاصة جاكوب، من المصادر الشفهية وأعادوا كتابتها، وويلهلم تحديداً، لأسباب تجارية وفنية في أن واحد، وهي مزيج من العلم والفن، يجمع الأفكار القديمة والعاطفة الشعبية، والبراءة والاستغلال. وأيضاً فقد استعانا كثيراً بخيال الجميع تقريباً بدءاً من الأطفال الصغار وحتى أكثر الباحثين ثقافة.

تجمع قصة الأخوين جريم (جون المخلص) Faithful John بين أشد الحكايات قدماً وبين أشدها تمثلاً بالعصر الفيكتوري. وهي تبدأ بفتى شاب يخرج من عالم الطفولة الوافر الحماية، وهو عالم لم يكن موجوداً قبل بدايات العصر الحديث. حيث يوجه الملك المحتضر خادمه المخلص للاهتمام بولده. وأخبر الملك جون بأن يُري الأمير كل شيء في القلعة

لم يرد ذكر للغراب في
حكاية الأخوين غريم الخرافية
(هانسل وجريتل) ولكن
الرسام فريتز فيليب شميدت
أضاف هذا الطائر إلى الصورة
في أوائل القرن العشرين
ليكون مرافق الساحرة القائم.



باستثناء غرفة واحدة تحتوي على لوحة (أميرة السقف الذهبي) the Princess of the Golden Roof. وبالطبع فإن الملك الشاب أصر على دخول الغرفة ورأى اللوحة التي تمثل الأميرة ووقع في حبها. بعدها يقوم جون والملك باختطاف الأميرة في مغامرة تعود ربما للروايات الشفهية التي تحكي عن غارات الفايكنغ، ومع ذلك فإن القصة مليئة بأحداث ورواية بأن الاختطاف تم بدافع الحب وكانت الأميرة سعيدة مع الشاب وجرى وضع خطط لحفل الزفاف.

لكن المرحلة التالية من القصة غامضة بشكل خاص، حيث يكون جون المخلص جالساً عند مقدمة السفينة وهو يعزف الموسيقى عندما تقترب ثلاثة غربان منه. وتبدأ الطيور بالحديث إلى بعضها، فقط جون. مثل الشامان. يستطيع فهم ما تقوله. وتنبأت الغربان أن الأميرة والملك الشاب في خطر، ولكن لا يزال من الممكن إنقاذهما، ولكن أياً كان من سيقوم بذلك فعليه ألا يفسر أفعاله للملك وإلا سيتحول إلى حجارة.

وعندما وصلت السفينة إلى الأرض، قدم حصان يتخب نحو الملك، وكان جون يعرف من سماعه لحديث الغربان أن الحصان كان على وشك أن يحمل جلالته عالياً في الهواء حيث لن يرى الملك بعدها أبداً. وكما قالت الغربان، قفز جون على الحصان وتناول مسدساً من قرابه وأردى الحصان قتيلاً. يشبه هذا الحادث تقديم الحصان كأضحية، وهو طقس كان يؤدي بين الأقوام القبلية في الدائرة القطبية الشمالية وكذلك بين الأقوام الهندو أوروبية من بريطانيا وصولاً إلى الهند. لقد كان ذلك طقساً ستقوم بموجبه روح الحصان بمرافقة الشامان في رحلته إلى العالم الآخر. وتشبه الغربان في هذه القصة الإلهة ابدا عند السلت في هيئتها الثلاثية، والعديد من الآلهة من أقصى الشمال. وما بقي من القصة يمكن أن يُقرأ في بعض الأحيان كموعظة ولاء من العصر الفيكتوري، ولكنها مليئة أيضاً بإشارات واضحة إلى الطقوس القديمة والأضحيات البشرية.

اعتبر الأخوان جرم مجموعتهما من الأساطير الألمانية أكثر أهمية من

تعكس هذه الصورة للرسام

والتر كراين^(١)، لقصة (جون

Faithful (المخلص

John في النسخة

الانكليزية لقصص الأخوين

جرم والتي صدرت في عام

١٨٨٦، المزيج المنتمى من

السحر القديم والواقعية المطلقة

والعاطفية السائدة في الحكاية

الأصلية.



(١) رسام انكليزي (١٨٤٥)

(١٩١٥)

الحكايات الخرافية، على اعتبار أن الأساطير فقط تُصدق حرفياً. ومن بين أشهرها الحكاية التي تقول إن الامبراطور فريدريك بارباروسا وفرسانه لم يموتوا ولكنهم نائمون في جبل كيفهاوسين Kyffhausen إلى أن يستدعيهم الرب، وعندما سيستيقظ فريدريك أخيراً سيعلق درعه على شجرة ميتة. عندها ستزهر هذه الشجرة وسيبدأ عصر جديد مشرق. وفي أحد الأيام يقترب راعٍ من الجبل، وينهض الامبراطور، وقد التفت لحيته حول الطاولة التي كان يجلس عليها عندما أغفى، ويسأل: (ألا تزال الغربان تخلق حول الجبل في دوائر؟) وعندما يسمع أن الغربان لا تزال تخلق هناك، يعود فريدريك للنوم مئة عام أخرى (٣). ويمثل تخليق الغربان في هذه القصة الوقت، كما يمثل دائرة الحياة والموت، والتي ستغلق عند نهاية العالم.



ولعل الحكايات القادمة من الدول الأقل تطوراً في الصناعة كانت أكثر بدائية، ففي الحكايات الخرافية الروسية والتي جمعها ألكساندر أفاناسيف في منتصف القرن التاسع عشر، كانت الغربان مليئة بسحر قوي. وفي إحدى الحكايات، يقول مزارع عجوز «لو أن الشمس تمدني بالدفء، والقمر يزودني بالنور والغراب يساعدني في جمع المحصول (البرغل)، فسأزوج ابنتي الكبرى للشمس، والثانية للقمر، والصغرى للغراب»، وتمت إجابة طلبه وكان الرجل وفيماً لما قاله. وفيما بعد قام المزارع بزيارة بناته الثلاث اللواتي يعشن مع أزواجهن، ولكن عند زيارته للغراب سقط من السماء ومات. وفي حكاية كهذه مليئة بالتعابير الكونية، لن تكون المقارنة بين الغراب الذي يلتقط المحصول (البرغل) بالظلمة التي تلتهم النجوم بعيدة المنال. وفي حكاية أخرى من مجموعة أفاناسيف وتسمى (البطة البيضاء) «The White Duck»، تعيد غربان العقق الأطفال الموتى إلى الحياة بإحضارها ماء الكلام وماء الحياة.

في هذه اللوحة الساحرة من عام ١٨٦٦ للرسم ج. ج. جراندفيل، يظهر غراب على سرير الموت محاطاً بعائلته وأصدقائه عالياً بين الميازيب النائمة لكاتدرائية سنتراسبورغ.

هذه اللوحة الساحرة للرسم ج. ج. جراندفيل والتي تعود لعام ١٨٦٦، تُظهر شاباً يدرس الطب وهو يشبه الغربان البرية في خجله وعزلته.



في العديد من حكايات العصر الحديث، كانت الغربان والغربان السوداء تذكر بالمروروث القديم الذي كاد يزول ولكنه لم يُنس تماماً. فالأحداث في الرواية التاريخية بارنابي رودج Barnaby Rudge والتي كتبها تشارلز ديكنز في عام ١٨٤١، تدور في الثمانينات من القرن الثامن عشر، حيث يرافق الشخصية الرئيسية، والتي تحمل الرواية اسمها، غراب أليف يُدعى تشيب. كان بارنابي ذو طبيعة طيبة وغير معقدة إلى درجة الحماسة، وكان الغراب تذكيراً دائماً بالقوى الشريرة التي لم يكن يستطيع رؤيتها. وكان الغراب يقول كلمات تكاد تكون تافهة ولكنها غالباً ما تحمل تنبؤات، وفي بعض الأحيان ادعى الغراب أنه الشيطان بنفسه.

في عام ١٨٤٥، وبعد مرور أربع سنوات على نشر رواية بارنابي رودج Barnaby Rudge (للكاتب تشارلز ديكنز)، قام إدغار آلان بو بنشر قصيدته (الغراب) The Raven للمرة الأولى. وهذه القصيدة أصبحت عادة من أوائل القصائد الجدية التي يقرأها الأطفال في المدرسة، وهي بالتأكيد القصيدة التي يتذكرها معظمهم. ولكن القليلين هم من يتوقفوا



(عد إلى العاصفة) هكذا

يخاطب المتحدث الغراب

The في قصيدة (الغراب)

Raven للشاعر إدغار آلان

بو والتي تمثلها هذه الصورة

لرسم جوستاف دوري^(١) في

عام ١٨٨٣.

(١) رسام ونحات فرنسي

(١٨٣٢-١٨٨٣ م)

ليفكروا في المعنى الحقيقي لهذه القصيدة، حيث أن أكثر ما يرسخ في ذاكرة الجميع هي اللازمة التي تقول. (وقال الغراب، أبداً بعد اليوم (أبداً)).

بالنسبة إلى غالبية القراء، تبدو الإيقاعات الشعرية في هذه القصيدة ملحة جداً وتبدو الصور عاطفية جداً (ميلودراماتيكية)، حتى أن المعنى يكاد يبدو متناقضاً. وفي القصيدة يزور غراب المتحدث في وقت متأخر من الليل:

ثم يُحيلُ ذاك الطيرُ الأنوسي

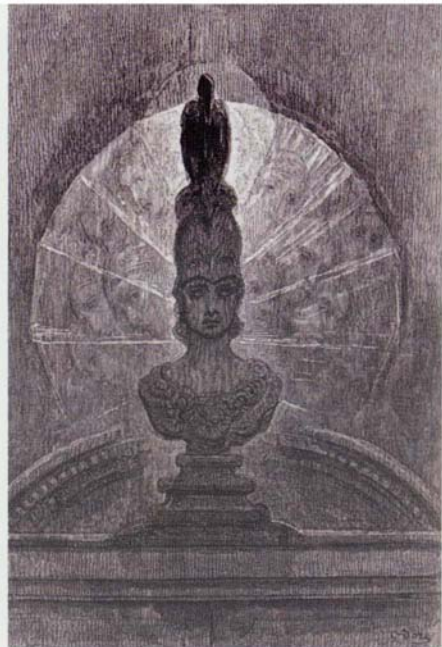
وهمي الحزين الى ابتسامة،

بأدب عابس رصين

ارتدّاه مُحيّاه،

«وإن يكن رأسك مقصوفاً حليفاً.. وإن يكن»

قلتُ «الفنُّ ليس جباناً أبداً،



(وجثم فوق تمثال بالاس^(١) تماماً
فوق باب غرفتي....) التصوير
للرسام جوستاف دوري عن
قصيدة (الغراب) The
Raven لإدغار آلان بو.

(١) اسم شقيقة أثينا الالهة
اليونانية والتي قتلها أثينا
مصادفة وبهذا أضافت
اسم بالاس الى اسمها اثينا
فأصبحت تدعى أحياناً
بالاس أثينا.

يا هذا الغراب الشبحي المتجهم،
يا من يتسكع من شاطئ الليل،
أخبرني ما اسم جلالتك
هناك على شاطئ الليل البلوتوني!
وقال الغراب «أبدأ، ليس بعد ذلك» (٥).

ثم يوجه المتكلم الحديث والأسئلة، التي تزداد غرابة باطراد، ويحجب
عنها الغراب بالكلمات المنذرة نفسها.

وتكاد القصيدة نفسها تبدو جنونية في تركيبها، ويصف المؤلف طريقته
في الكتابة في مقالة قصيرة بعنوان (فلسفة الإنشاء) The Philosophy of
Composition بطريقة تحليل انفصالية تكاد تبدو مرضية. ومثل أغلب
الشعراء الرومانسيين، كان إدغار آلان بو مهتماً بالمشاعر الخالصة، وكانت



أصبحت قصيدة إدغار
ألان بو (الغراب)
Raven مفضلة بشكل
دائم مع الصور المرفقة
بها. هذه اللوحة عن
الطائر رسمها إدموند
دولاك^(١).

(١) رسام فرنسي
(١٨٨٢-١٩٥٣م)

العاطفة التي تعرضت لكبح وسيطرة العقل هي مفهومه الفني. واستطاع ربط الأصوات والصور الغريبة للقصيدة في رواية محكمة، بل يمكننا القول إنها مَلْفَقَة.

يهرب غراب أليف تم تلقيه أن يقول كلمة واحدة من مالكة، وتجبره العاصفة على اللجوء إلى غرفة طالب لا تزال مضاءة في منتصف الليل. كان الشاب منكباً على قراءة كتاب معقد وهو يفكر في موت حبيبته، عندما طار الغراب إلى الداخل وجثم على تمثال بالاس أثينا، وبدأ الطالب بتوجيه أسئلة حول الحياة والموت إلى الطائر، والذي كان يجيب بعبارة واحدة (أبدأ ليس بعد الآن)، مما أصاب الطالب باضطراب شديد فأمر الغراب بالمغادرة ولكنه بقي في مكانه، مثل معاناته الحزينة.

إن وصف إدغار ألان بو بعناية فائقة بالتفاصيل، جديرة بلص بنوك، كيف اختار أن يجعل من موت امرأة جميلة أكثر المواضيع شجناً وكيف انه عمق كآبة المزاج باستخدام الأدوات الشعرية، مثل اللازمة، وقد اختار كلمة nevermore (أبدأ، ليس بعد الآن) لخصائصها الرنانة وقرر أن تكررهما الدائم يجب أن يأتي على لسان حيوان، وقد أراد استخدام ببغاء في البداية ولكن استقر رأيه على الغراب لشهرته المرتبطة بالنبوءات.

صورة مأخوذة من مقالة
قصيرة منشورة في مجلة
من عام ١٨٨٠، حيث يبدو
الغراب متأملاً لقبر إدغار
آلان بو.



تحتوي هذه اللوحة للفنان
بول غوغان^(١) والتي تعود
لعام ١٨٩١، وتصور الكاتب
ستيفان مالارميه،^(٢) على
غراب، على اعتبار أن
مالارميه هو من قام بترجمة
قصيدة إدغار آلان بو إلى
الفرنسية.



- (١) يوجين هنري بول غوغان
رسم (١٨٤٨-١٩٠٣ م)
رائد للمرحلة الفنية ما
بعد الانطباعية.
- (٢) اسمه الحقيقي ايتين
مالارميه (١٨٤٢-١٨٩٢ م)
شاعر فرنسي رمزي
كبير، ألهمت أعماله
العديد من المدارس
الفنية الثورية في بدايات
القرن العشرين.

في الصفحة المقابلة:

العديد من حكايات

إيسوب الخرافية، وخاصة

حكاية غراب الزيتون

الذي أراد أن يصبح

طاووساً، وقد تم استخدامها

كتعليقات سياسية في

العالم الحديث، ربما مثلما

فعل إيسوب تماماً.

شكك الباحثون في أن إدغار آلان بو قد تعتمد الكتابة بهذه الطريقة،

كما ادعى، وكتب جيمس راسل لويل في كتابه خرافات للنقاد «Fable for

Critics» في نهاية القرن التاسع عشر:

ها قد أتى بو، يرافقه غرابه، مثل بارنبي رودج،

ثلاثة أخماسه عبقرى وخمساها هراء محض،

الذي يتحدث ككتاب من أوزان الشعر وبحوره،

بطريقة تجبر أصحاب الفطرة السليمة على لعن أوزانه

والذي كتب بعض الأمور كأفضل ما تكون،

ولكن على ما يبدو أن القلب سحقه نير العقل... (٦)

وأصبح الغراب منذ ذلك الحين رمزاً لإدغار آلان بو، وعادة ما يتم

تصويره والطائر جاثم على كتفه أو إلى جانبه، ولعل الأكثر أهمية أن الغراب

أصبح حتى يومنا هذا ميزة رئيسية في قصص القوطيين المرعبة.

إذا كانت الثقافة العالية قد أكدت على الجوانب المظلمة والتنبؤية

للغرابيات، فإن الثقافات الشعبية عادة ما تؤكد على مرحها، مما يوصلنا إلى

تاريخ الغراب جيم Jim Crow وهو اسم يرتبط بالفصل العنصري، وخاصة

في الولايات المتحدة، ولا يلاحظ الكثيرون ذلك، ولكنه كان رمزاً في الثقافة

الشعبية قبل وقت طويل من نظام التمييز العنصري.

ولعل أصوله تعود، على الأقل، إلى غراب الزيتون في الخرافات التقليدية

المنسوبة لإيسوب، والذي ارتدى الريش الملون في محاولته الفاشلة لتقليد

الطاووس. وغالباً ما كانت هذه القصة تُحكى للناس الذين يطمحون إلى

الارتقاء إلى ما فوق موقعهم الاجتماعي. وفي المجتمعات الأرستقراطية كان

غراب الزيتون رمزاً لمن يقوم بتقليد أساليب النبلاء من عامة الناس.

وغالباً ما كانت هذه القصة تُروى في القرن التاسع عشر على اعتبار

ان التمايز في الطبقات والثروة والجنسية في المجتمعات الأورو-أمريكية

قد أصبح أكثر تعقيداً. ويمثل غراب الزيتون أي نوع من المدعين الذين

حاولوا دخول قطاع محرّم عليهم من المجتمع، كما في أصل الخرافة لدى

HARPER'S WEEKLY.

JOURNAL OF CIVILIZATION.

VOL. XXV.—No. 1330.
Copyright, 1861, by Harper & Brothers.

FOR THE WEEK ENDING AUGUST 6, 1861.

THE CENT'S A COPY,
\$40 PER YEAR IN ADVANCE.



FURNISHED OF HIS PLUMAGE (OR PATRONAGE).
THE JACOBIN IS AGAIN BUSTED BY A JACOBIN.

ايسوب، ولكن محاولاته في بعض الأحيان كانت تكفل بالنجاح. وأحد هذه الأمثلة في القصيدة المشهورة للشاعر آر.اتش. بارهام. غراب ريميس. «The Jackdaw of Rheims» والتي كتبها باسمه المستعار (الأب جون انجولدسبي). كان بارهام رجل دين انكليزياً، أصبح في النهاية مرتلاً هامشياً في كنيسة أوكسفورد الملكية، ومثل الكثيرين من البروتستنت الآخرين في ذلك الوقت، وجد الطقوس الكاثوليكية الرومانية جذابة الجمال وغريبة في آن معاً. ولعل غراب الزيتون في القصة يمثل أحلام يقظة بارهام بأن يصبح بابوياً، مثل ذاته الأخرى انجولدسبي،

وعلى أية حال، تحكي القصيدة عن غراب زيتون مزعج اعتاد التسكع حول احتفاليات الكنيسة، يدفعه إلى ذلك الطعام والثياب الجميلة، وفي أحد



في هذا النموذج الفرنسي للدعاية المضادة لألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، يمثل القرد غراب الزيتون، مضرب المثل، الذي أراد أن يصبح طاووساً.

تبدو غربان العققق، وهي
من أقارب الغربان، كرموز
لهدوء الريف، في هذه
اللوحة للفنان كلود مونيه،
Magpie. Snow
Effect. Outskirts
(غربان
العققق، تأثير الثلج، ضواحي
هونفلور ١٩٦٨-١٩٦٩)



الأيام، وبينما كان الجميع يستمعون للموسيقا المقدسة التي يعزفها الكورس،
هرب الغراب بعيداً وهو يحمل خاتم الكاردينال. وقام الرهبان بالبحث
طوال الليل حتى استطاعوا أخيراً العثور على الخاتم في عش الغراب، ولدى
اكتشاف أمره، شعر الغراب بالخزي الشديد حتى أنه تخلى عن أساليبه
الملتوية وعاش بقية حياته كنموذج يُحتذى به. وحضر جميع الصلوات التي
تمت إقامتها ووبَّخ بلطف كل من كذب أو شتم أو غفا أثناء القداس. وأخيراً
ولدى وفاته طُوب الغراب قديساً. وتنتهي القصيدة على الشكل التالي:

عندما تكون الكلمات أضعف من أن ترسم فضائله

قرر المجتمعون أن يطوبوه قديساً!

وكما تعلمون، فعند تطويب قديس جديد أو تنصيب بابا

جرت العادة في روما بمنح أسماء جديدة

وهكذا طُوبوه باسم جيم الغراب! (٧)

نُشرت القصيدة لأول مرة في عام ١٨٣٧، ثم أصبحت فيما بعد جزءاً من
المجموعة الهزلية الشعبية لبارهام والمسماة أساطير انغولدسبي، أو الأفراح
والعجائب The Ingoldsby Legends, Mirth and Marvels، وهي
تحتوي، على حد علمي، على أول ظهور مطبوع لاسم جيم الغراب «Jim
Crow». ويبدو اللقب هنا وكأنه إحياء بوجود غراب مجهول، مثل جون دو

لوحة (الغراب) مرسومة
بالفحم للفنان أودوليون
ريدون^(١)، حيث يجعل هذا
الرسام الفرنسي الرمزي
الغراب يبدو وكأنه موجود
في عالم غامض بين الحلم
والحقيقة.

(١) رسام فرنسي رمزي
(١٨٤٠-١٩١٦م)



(المجهول) ولكن بريش أسود.

وبعد حوالي العقد على ظهور قصيدة غراب ريمس The Jackdaw of Rheims، أصبح جيم الغراب رمزاً أساسياً في العروض الشعرية التي

أصبحت شائعة في الولايات المتحدة. وهذه العروض تألفت من مسرحيات هزلية وتمثيلية موسيقية يؤديها رجال بيض بوجوه سوداء. بمعنى أنهم يضعون لونا اسود على وجوههم في محاولة لتقليد السود. ولا يحتاج الأمر للقول إن هذه العروض كانت عنصرية بشكل صارخ وأنها صورت السود في قوالب أشخاص غمطين عديمي الحيلة وكسولين وفاسقين وجهلة ومدمنين على الكحول ومخادعين.

وعلى الرغم من ذلك، يتردد بعض المؤرخين السود حتى اليوم بإدانة هذه العروض بوضوح، على اعتبار أن ازدياد الزواج كان ممزوجاً بالاعجاب بطريقة ماكرة، حيث منح استخدام الوجه الأسود الرجل الأبيض الفرصة ليُظهر خيالاته السرية والتي كانت ستدينها النظم البيوريتانية في تلك الأيام.

جسد جيم الغراب العبد اللا أخلاقي والخالٍ من الهموم، ويعمل في الإسطبلات ويدندن لنفسه. وكان بالتأكيد مثل غراب الزيتون في قصة ايسوب، مدعيًا، على الرغم من أنه من الصعوبة بمكان أن تقول كيف كان ذلك تمامًا. هل كان جيم الغراب شخصاً أبيض يحاول أن يكون أسوداً؟ أو شخصاً أسود يحاول أن يكون أبيض؟ وعلى أية حال، أصبح الاسم لقباً للفصل بالقوة بين البيض والسود، بعد مرور عقود على الحرب الأهلية الأمريكية. وإذا كان الاسم (جيم) يرمز إلى الكائن البشري المتحضر نسبياً (ربما الرجل الأبيض)، فإن (الغراب) كان النظير الحيواني (الرجل الأسود)، وهذا يشبه قليلاً ما سماه أتباع فرويد فيما بعد بـ(الهو) و(الأنانا). حاولت العروض الغنائية أن تجمع هذه المبادئ ولو بطريقة فظة ومتعصبة، وحاولت قوانين الفصل فيما بعد أن تبعدها عن بعضها. تمتلك الغرابان أكثر من مجرد بشرة قائمة لتتم تزيينها كشعار للأمريكيين من أصل أفريقي، حيث يمكن وبسهولة أن تكون انماطاً لهم بسبب مرحها وعدم القدرة على توقع تصرفاتها بالطريقة نفسها التي يتصرف بها السود.

ولكن إذا كانت العروض الغنائية قد سخرت من مفهوم قرب الغرابان

للطبيعة، وبالتالي الأمريكيين من أصل إفريقي، فإن الفنانين المبدعين غالباً ما احتفوا بها. وعلى العموم مثلما قام بو بإبداع الصورة الشعبية للغراب، فقد ساعد الرسام الهولندي فينسينت فان غوخ في تشكيل صورة الغراب أكل الجيف في الثقافة الفنية.

عندما يفكر الناس في الغربان في حقل الذرة، فإن أول ما يخطر في بالهم هو لوحات فان غوخ، ولعل أكثرها تعلقاً بالذاكرة هو العمل الذي يحمل العنوان المتعارف عليه حقول القمح مع الغربان تحت السماء المتوعدة Wheatfield under Threatening Skies with Crows، وهو أحد آخر اللوحات التي أنتجها الرسام في صيف عام ١٨٩٠ قبل انتحاره. وهي تُظهر الأقطار الأفقية الرائعة الأسلوب للغربان خلال تحليقها بأجنحة مبسوطة، مما يتباين مع سنابل القمح العمودية، وتبدو الغربان وهي تطير مبتعدة عن الحقل لتجد لها ملجأ من العاصفة القادمة.

وعلى الرغم من شهرة فان غوخ كعسكري رومانسي، إلا أن رسائله البالغة الفصاحة تُظهر أنه كان يخطط للوحاته بوعي وتعمد تام. وغالباً ما كان يذكر حقول القمح والتي كان ترمز لقوت المعيشة، ولكنه لم يذكر الغربان. تعاطف فان غوخ مع المزارعين في نضالهم للحصول على قوت يومهم، ومحاولتهم حصاد الحبوب بغض النظر عن تقلبات الطقس.

وقبل وفاته بقليل كتب فان غوخ إلى شقيقه ثيو وزوجته جوهانا، (هناك حقول قمح شاسعة تحت السماء المتجهممة، ولم أكن في حاجة لأن أبتعد عن طريقي كي أستطيع التعبير عن حزني ووحديتي). وبعد فترة وجيزة كتب لوالدته، (أنا مستغرق تماماً في السهول الواسعة وحقول القمح مقابل التلال واللامحدودة مثل البحر) (٨) أحب فان غوخ الطبيعة بعمق، ولكنه أيضاً نظر إليها على أنها خصم دائم للكائنات البشرية، ويمكن للغربان أن تمثل طرفي هذه المعادلة. فمن جهة، فإن الغربان كانت تهديداً مستمراً لحياة العاملين في الزراعة، وفي الوقت نفسه، فإنها مثل المزارعين تبحث عن قوتها في حقول الحبوب.



ومثل الزهور المقطوفة التي كان يحب فان غوخ رسمها، تنتمي الغربان
إلى عالم الطبيعة وعالم البشر في آن معاً، وهذا التناغم بين الطبيعة والمجتمع
جميل جداً وعابر جداً ويبدو استمراره في رسوماته أكثر صعوبة في القرن
العشرين.

تبدو الغربان كأنها قوى
الطبيعة المتوعدة في اللوحة
الأخيرة للرسام فينسينت
فان غوخ حقول القمح مع
الغربان تحت السماء المتوعدة
Wheatfield under
Threatening Skies
(1890) with Crows

- ١ جيلبرت وايت، Natural History of Selborne، (نيويورك، ١٨٩٠ م)، الصفحة: ٩.
- ٢ ويليام ستوارت روز، Apology Addressed to the Travelers Club. or، (لندن، ١٨٢٥)، الصفحة: ١٦٨.
- ٣ جاكوب وويلهلم جريم، The Complete Fairy Tales of the Brother Grim، ترجمة جاك زيبس، (نيويورك، ١٩٨٧)، المجلد الأول، الاسطورة رقم ٢٣.
- ٤ ألكساندر أفانيسيف، Russian Fairy Tales، ترجمة نوربرت جوترمان (نيويورك، ١٩٧٣)، الصفحات/ ٥٨٨-٥٨٩.
- ٥ قصيدة الغراب The Raven، من ديوان الأزهار الأخيرة: القصائد الرومانسية لإدغار آلان بو وسارة ويتمان Last Flowers: The Romance Poems of Edgar Allan Poe and Sarah Whitman، (بروفيدانس، رود ايلاند، ١٩٨٧)، الصفحة: ٥.
- ٦ جيمس راسل لويل، خرافات للنقاد، لجيمس راسل لويل. Fable for Critics. by James Russell Lowell; with vignette portraits of authors de guibus fabula narrator مع لوحات تمثيلية، (لندن، ١٨٩٠) الصفحة: ٧٨.
- ٧ آر. اتش. بارهام (الاسم المستعار توماس انغولدسي)، أساطير انغولدسي، أو الأفراح والعجائب The Ingoldsby Legends. or Mirth and Marvels، (لندن، ١٨٦٦) الصفحة: ١٣٢.
- ٨ بروس بيرنارد، فينسين بقلمه: مختارات من لوحات ورسومات فان غوخ مع مقتطفات من رسائله Vincent by Himself. Selection Of Van Gogh's Paintings and Drawings Together with Extracts from his Letters letters trans. Johanna Van Gogh (بوسطن، ماساشوستس، ١٩٨٥)، الصفحة: ٢١٤.

7- سيد الغربان

هنا، قالوا، يقبع رعب الفرنسيين

في الفزاعات التي تخيف أطفالنا هكذا

شكسبير في مسرحية «هنري الرابع»، الفصل الأول، المشهد الرابع
مهما كان الهدف من الفزاعات، فهو ليس في الحقيقة إبعاد الغربان عن
الحقول، فالفزاعات ملونة ومسلية ولكن الغربان أكثر ذكاءً بكثير من أن
تخاف من حزمة من القش، على الأقل ليس لفترة طويلة. إذاً لماذا يستعمل
الناس الفزاعات؟

غالباً ما تتعرض حقول المحاصيل للخراب بفعل الجراد وغيره من
الحشرات ولكن الغربان أو الغربان السوداء، نادراً ما تفعل ذلك أو لا تفعله
أبداً، وهي عادة تفضل التهام الحشرات على الحبوب. إنَّ الغربان تنجذب
إلى الحقول بسبب الحشرات أكثر منها بسبب النباتات، وربما تقوم الخدمة
التي تؤديها للمزارعين من خلال التهام الآفات الضارة بمحاصيلهم بمثابة
تعويض عن وجبات الخضار الخفيفة التي تلتقطها أحياناً أثناء قيامها بذلك.
ولكن حتى اليوم، لا يلاحظ العديد من المزارعين ذلك. ورؤية أعداد كبيرة
من الغربان تستقر في حقل محروث يمكن أن يشكل إهانة لغريزة ملكية
المزارع البدائية، وقد تبدو الغربان من خلال تسكعها العشوائي حول الحقول
والتهامها للحبوب كأنها تسخر من عمل المزارع الشاق.

عادة ما يُنظر إلى الطرائد بشكل على الأقل بنوع من الامتنان والاحترام
نظراً للقوت الذي تقدمه، وقد اعتاد سكان الريف في انكلترا أن يصنعوا
الفطائر من غربان الروك Rook مما يفسر لماذا تبدو المناوشات بين غربان
الروك والمزارعين ودودة تقريباً. (جلب المهاجرون من انكلترا إلى الولايات
المتحدة الأمريكية غربان الروك في الستينات من القرن التاسع عشر لتلتهم
الآفات الضارة وفي الوقت نفسه تذكّرهم بوطنهم السابق). استطاعت ماري



ويب^(١) في رواية Precious Bane التي تتحدث عن الحياة الريفية في انكلترا خلال القرن التاسع عشر، تدوين التقليد القاضي بإخبار غريبان الروك بموت مالك المزرعة العجوز بعد أن يكون الوريث الشاب قد نقل الخبر:

أمعنت غريبان الروك النظر إليه من أعشاشها، وعندما انتهى كانت هناك جلبة مفاجئة من أجنحتها، وارتدت جميعاً نحو السماء الزرقاء في اجتماع عظيم، كما لو أنها تنظر فيما قيل. ثم عادت بعد فترة، واستقرت بجديّة وهدوء شديدين. وبذلك نعلم أنها قررت البقاء. وعبر السيد الجديد عن ارتياحه وهو يضيف (أنا شغوف جداً بفطيرة روك)(١)

بالمقارنة، يُعتبر لحم الغراب أكل الجيف ولحم الغراب الأمريكي، تقليدياً، غير صالحين للأكل. وتعني عبارة (أكل غراب) أداء بعض الكفارات الكريهة.

يُرجع علم دراسة أصل الكلمة الشعبية هذا المصطلح إلى حادثة مزعومة في حرب عام ١٨١٢ بين بريطانيا والولايات المتحدة. حيث ضل صياد

(١) شاعرة وروائية رومانية انكليزية (١٨٨١-١٩٢٧).

أوغست شينك، كاتب
مغمور قضى على أيدي
النازيين ومن المغربي قراءة
لوحة شينك (العذاب)
Agony على أنها
حدس مسبق حول
مصيره.

هذا الغراب الأمريكي العادي
الماكر يجثم على غصن محمل
بالفواكه في هذه الصورة التي
تعود لأوائل الأربعينات من
القرن التاسع عشر للرسم جون
جيمس أودويون^(١). ويظهر وهو
ينظر حوله بحذر قبل أن يقوم
بسرقه محصول المزارع.

(١) رسام أمريكي من أصل فرنسي
(١٧٨٥-١٨٥١)



أمريكي طريقه ودخل إلى الأراضي البريطانية وأصاب غراباً، فاقترب جندي
بريطاني لم يُعرف اسمه من الصيد وأبدى إعجابه برمايته وطلب أن يلقي
نظرة على مسدسه، وعندما سلمه الصياد سلاحه وجهه الجندي نحوه وأجبر
الصياد على أكل لقمة من الغراب.. ولكن الجندي الأحمق أعاد البندقية
إلى الصياد وعندما أجبره الصياد على أكل الطائر بالكامل. وقام بعض

الطهارة المغامرين بتجربة لحم الغربان الأمريكية ووجودها لذيدة الطعم، ولعل الترفع عن أكلها هو نتيجة للاستياء الذي كثيراً ما أثارته الغربان. وعلى أي حال، فإن المزارعين نظروا للغربان في بعض الأحيان، ليس فقط بانزعاج، بل بكرهية. ففي أوائل القرن التاسع عشر كتب عالماً الطبيعية ألكسندر ويلسون^(١) وتشارلز بونابارت عن الغراب الأمريكي: إنه يعتبر لصاً متخبطاً، وهو نوع من المتشردين بمعطف أسود، يحوم حول حقول الكادحين ويسمن على جهودهم.. يكرهه المزارع ويشاهده ويلاحقه تقريباً كل من يحمل مسدساً.. ولو لم تمنحه السماء ذكاء وحكمة أكثر من المعتاد، لكان لدينا سبب للاعتقاد أن قبيلته بكاملها (في هذه الأنحاء على الأقل) قد انقرضت منذ زمن (٢).

تم إقرار قانون في بنسلفانيا يقول إن أي شخص أبيض يصيب الغربان في مقتل يجوز له أن يطالب بمكافأة عبر إحضاره لجثث الغربان إلى القاضي المحلي. وذلك المسؤول سيأمر بقطع مناقير الغربان ويرسلها إلى خزانه البلدية، التي ستدفع ثلاثة بنسات عن كل ضحية. وبحلول عام ١٧٥٠ أصبح من عادة المدن على طول الولايات الأمريكية الغربية أن تضع جوائز على حياة الغربان. ففي ماساشوستس كان يمكن استبدال غراب ميت مقابل شيلينغ واحد، أي ما يعادل أقل بقليل من دولار واحد بالعملة المعاصرة. وقدم طلب إلى الجمعية العمومية في بنسلفانيا في عام ١٧٥٤ يطالب فيه الولاية بأن تلزم كل واحد من الرواد الأوائل باصطياد دزينة من الغربان ليستطيع المطالبة بأرض على الحدود. وكان المستوطنون أيضاً يقومون بتفجير الأشجار التي كانت مجاثم معتادة للغربان وفي بعض الأحيان يقتلون الآلاف منها في وقت واحد.

نجحت هذه الجهود المكثفة في انقاص أعداد الغربان في الحقول الأمريكية، ولكن بحلول منتصف القرن التاسع عشر بدأ المزارعون برؤية عواقب غيابها. أصبحت المحاصيل مهددة بسبب الديدان أكثر بكثير مما كانت مهددة من

(١) شاعر ورسام أمريكي من أصل اسكتلندي (١٧٦٦-١٨١٣).

قبل الطيور، وبدلاً من اصطيد الغربان حاول المزارعون الحد من أضرار الطيور وخاصة في الأوقات المهمة من السنة.

وبمرور الوقت، بدأ العديد من المزارعين في أمريكا بالنظر إلى الغربان بنوع من حس الفكاهة العاجزة، مثلما أظهر أجدادهم البريطانيون نحو غربان الروك من قبل. وغالباً ما تبدو الفزاعات جزءاً مما يُشبه ألعاب الفطنة التي يلعبها الناس مع الغربان، ولعلمهم خصومهم الأذكى بين الحيوانات، وليس هدفاً لحرب إبادة شعواء. وفي الحقيقة، لا تقوم الغربان بإيذاء المزارعين بالقدر الذي تخفهم به، وربما تكون الفزاعات محاولة لرد المجاملة، حيث تعمل أفضل الفزاعات لحوالي أسبوع أو اثنين قبل أن تكتشف الطيور أنها غير مؤذية، والعديد منها لا تقوم بعملها على الاطلاق. وفي معظم الحالات، توفر الفزاعة وقتاً كافياً للمزارع للسماح لأكبر كمية من البذور المنثورة للاستقرار في الأرض.

إن إحدى التقنيات القديمة هي زراعة بذور إضافية على أمل أنها ستنجو من نهب الطيور والحشرات الأخرى. وتقول إحدى الأشعار التي تُغنى عند زراعة البذور والتي تعود إلى عصور الآباء المهاجرين في بدايات ماساشوستس ما يلي:

واحدة لدودة الأرض،

واحدة للغراب،

واحدة للطائر الأسود،

وثلاثة لتنمو. (٣)

وبالمصطلحات الواقعية المتشددة، من المحتمل أن تكون زراعة بذور إضافية أكثر طريقة فعالة لضمان حصاد جيد.

وفي الحقيقة، إن الغربان والفزاعات لديها أمور كثيرة مشتركة، فكلاهما يميل إلى أن يكون مهلهلاً نوعاً ما ومؤذياً قليلاً ويرتبط إلى حد بعيد بالقوى الخارقة. وغالباً ما يظهر كلاهما بتكثيرة دائمة. ولو أن المرء توقف ليفكر في معنى كلمة scarecrow (فزاعة) لوجد أنها تبدو مثل اسم غراب. ولعل

الغراب المخيف scarecrow فعلياً يشبه أمير الغربان؟ وعلى أية حال، فكثيراً ما يتم تمثيل الفزاعات بهذه الطريقة والغراب جائئة على أذرعها ورؤوسها.

كانت الكلمة الانكليزية scarecrow (الفزاعة) تعني في البداية الشخص الذي يعمل في إبعاد الغربان عن الحقول في أواخر القرون الوسطى، وكان هؤلاء الأشخاص والذين كانوا أيضاً يدعون بالمخيفين scarers» يركضون نحو الغربان وهم يصرخون ويضربون على المقالي أو يلوحون بالعصي. واستخدم بعضهم أدوات محلية الصنع تُعرف باسم clappers» (المصافق) تتألف من قطعتين من الخشب تُخاطان معاً بخيط من القنب، وتصدر صوتاً عالياً عندما تهتز. وكان (المخيف) scarer يتجول خلال الحقل وهو يحرك مصفقته على فترات ويغني:

ابتعدي، ابتعدي، ابتعدي أيتها الطيور،
كلي قليلاً من الذرة وعودي في يوم آخر، أيتها الطيور،
طيور كبيرة، طيور صغيرة، حمام وغربان،
سأرفع صوت مصفقتي وهي ستذهب بعيداً! (٤)

وفي النهاية، فإن لعبة المخيف scarecrow والطيور كانت تتم بطريقة لا يخسر فيها أي من الطرفين. كان الصبية الصغار يكلفون بمهمة إخافة الطيور ولا بد أن الكثيرين منهم استمتعوا بذلك أكثر من مردود العمل، ففي النهاية كم عدد الأطفال الذين لا يستمتعون بالركض وإثارة الضجة! ومن جهة أخرى، لا بد أن الأطفال المراهقين كانوا ينزعجون إذا طلب منهم تدمير الأعشاش وقتل الصغار في داخلها. وهناك وصف حي لهذه المهنة في بداية رواية «جود المغمور» لمؤلفها توماس هاردي والتي نُشرت لأول مرة في عام ١٨٩٥. حيث يعمل البطل الشاب الذي تحمل الرواية اسمه، بالعمل كمخيف للطيور scarer لدى مزارع محلي في ويسكس، وتقول الرواية:

وقف الصبي تحت كومة القش ... وكان يقوم باستخدام مصفقته أو يصدر جلبة سريعة كل بضع دقائق، ومع كل صفقة يقوم بها كانت الغربان

تبدو الغربان الميتة في هذا
التصميم الفخاري لهنود
قبيلة ميمبرز Mimbres
من نيومكسيكو، وهي
مصفوفة على حافة الحقول
كتحذير للأخريين من
سرقة الحبوب.



ترفع مناقيرها وتنهض مبتعدة بأجنحة متمهلة لامعة مثل دروع البريد، ثم تنعطف عائدة وتنظر إليه بريبة وتهبط لتأكل على مسافة أبعد. واستمر بتحريك مصففته حتى شعر بالألم يغزو ذراعيه وعميقاً في قلبه شعر بالتعاطف مع رغبات الطيور الممنوعة. وبدت له كأنها تعيش في عالم لا يرغب في وجدها أحد فيه، مثله تماماً. (٥)

وقرر جود أن يدع الطيور تأكل في سلام، ومن أجل ذلك ضربه المزارع ثم قام بطرده.

حتى في أيامنا هذه، لا يزال هذه العمل موجوداً، على الرغم من أن القائمين به مثل أندادهم المصنوعين من القش، يقومون به كنوع من الرياضة والتقاليد أكثر منه بسبب تأثيراته الفعلية. فالفراعات بالتأكد تخفف من الرتابة التي تتميز بها حقول الحبوب، حتى قبل ظهور الزراعة الممكنة (الآلية). وإذا لم تساعد على جعل الحقول أكثر إخافة بالنسبة للغربان فإنها على الأقل ستجعلها أكثر جذباً للشر.

وما نعتبره فزاعة اليوم هو عبارة عن دمية مصنوعة من الملابس القديمة ومحشوة بالقش، ويُشاع أن هذه الأشكال تكون فعالة أكثر إذا كانت ملابسها

تعود لشخص سبق له أن اصطاد الطيور في المنطقة، وهذه الفكرة الشعبية، بغض النظر عن صدقها أو كذبها، تثني على ذاكرة الغربان. وإحدى الطرق الشائعة هي تزيين الفزاعة بشرائط تتحرك بفعل الريح، على أمل أن توحى حركتها بوجود شخص حقيقي. وغالباً ما تُوضع قطع من المعدن أو الزجاج اللامع على الفزاعة يكون الهدف منها التقاط أشعة الشمس وإبهار الطيور بالضوء المنعكس منها.

هذه صورة فزاعة في نورث كارولينا، في الثلاثينات من القرن العشرين. ترمز الفزاعات إلى طريقة الحياة التقليدية الريفية في عالم صناعي بازدياد.

ومن الممارسات الأخرى الشائعة وضع طائر ميت أو اثنين إلى جانب الدمية كتحذير للبقية، وهي تقنية استخدمها روبنسون كروزو، الشخصية الخيالية للكاتب دانييل ديفو. وهي في الحقيقة امتداد لأسلوب قديم في مكافحة الجريمة والتحريض عليها، حيث كانت جثث القراصنة أو الثوار تترك على المشائق أو في أقفاص حديدية كتحذير لكل من تسول له نفسه تحدي قوى القانون والنظام. ومن الممكن أن تكون نظرة الناس للغربان على أنهم



لصوص هي ما أعماهم عن عدم فاعلية مثل هذه العروض في حقول الذرة. حيث أن مخلوقات الغابات والحقول تألفت تماماً مع مشهد الموت. وفي البداية تخاف الغربان السوداء وغيرها من الغربان من منظر أمواتها ولكن على أية حال هذه الأجساد الميتة لن تستمر في البرية لأكثر من يومين قبل أن تحف أو تُؤكل أو تتحلل ببساطة .

وقد يعود استخدام الفزاعات إلى عصور قديمة جداً، حيث من المحتمل أن استخدامها كان بغرض السحر أكثر منه لفائدتها العملية. وأورد أيليان Aelian أن أفراد قبيلة فينيثي التي تعيش على طول ساحل البحر الأدرياتيكي، كانوا يؤدون طقوساً يقومون فيها بتقديم كعك مصنوع بعناية من الشعير والعسل والزيت إلى غربان الزيتون قبل أن يبدأوا عملية البذار. كان أفراد قبيلة فينيثي يعتقدون أنه إذا قبلت الغربان التقدمة فإنهم يستطيعون أن يزرعوا بثقة والإفان الطيور ستأكل البذور الجديدة وتسبب مجاعة. ومن الجائز أن مثل هذا الممارسات الشعائرية كانت تؤدي على مذبح، ولعلها ترافقت مع رموز دينية لم يتم تدوينها.

وربما تنحدر الفزاعات مباشرة من التماثيل الخشبية للإله بريابوس Priapus والتي كان اليونان والرومان يضعونها في الحقول، وبريابوس هو ابن ديونيسوس إله الخمر وفينوس إلهة الحب، ولكنه كان قبيحاً جداً بالرغم من نسبه هذا حتى أن الطيور كانت تخاف من صورته. وتُظهر تماثيل بريابوس، والتي كان يتم طلاؤها بالأرجواني لتكون مخيفة بشكل خاص، الإله وهو يحمل هراوة في إحدى يديه وفي اليد الأخرى كان يحمل منجلاً على أمل الحصول على حصاد وفير.

وتقول نظرية أخرى أن الفزاعات تعود إلى دمي الحصاد، وهي تقليدياً ما يصنع من آخر حزمة من الحصاد. عُرفت دمية الحصاد بالعديد من الأسماء فهي تدعى (العفريتة) hug في اسكتلندا و(دمية الذرة) corn dolly في انكلترا، و(بابا) baba في بولندا، و(ذئب الذرة) kornwolf في ألمانيا. مثلت دمية الحصاد روح الحبوب وكانوا يجولون بها بطريقة استعراضية طقسية عبر

الحقول. كانت دمية الحقول المرتفعة فوق الحبوب تماثل برج كنيسة يرتفع فوق مدينة من العصور الوسطى وتبدو فعلاً مثل روح الحقول. ويمكن أن ترتبط الفزاعات أيضاً بالقرابين البشرية في الحقول والتي كان يؤديها كهنة الدرويد^(١) لضمان حصاد وفير. ولكن هذه النظريات، على الأقل، تستند على حدسنا بشأن الفزاعات أكثر بكثير من الأدلة الدامغة.

في قصيدة (البومة والعندليب) The Owl and the Nightingale وهي قصيدة انكليزية من أوائل القرن الثاني عشر مجهولة المؤلف، هناك إشارة إلى تمثال استخدم كفزاعة. كانت البومة والعندليب يتبادلان التهكمات في مناظرة مفعمة بالحياة، حيث قام الطائر المغرد بالسخرية من خصمه الكئيب، فالبوم إن تم اصطياده فسيتم تحنيطه ورفع على عصا ووضعه في الحقول ليخيف الطيور الأخرى وخاصة الغربان. أوحى هذه الصورة، في التفكير المجازي للعصور الوسطى، بالصليب الذي يخيف جميع الشرور والارواح. وردت البومة بالقول ان عملها حتى وهي ميتة كان ذا فائدة أكبر بكثير من غناء خصمها غير النافع.

في هذه اللوحة التي تمثل شهر تشرين الأول من كتاب Très Riches Heures لدوق بري، والتي رسمها الأخوان ليمبورغ في بدايات القرن الخامس عشر، تظهر أوائل الصور لهذا النوع من الفزاعات، كدمية تحمل غراباً وسهماً. ولا يبدو شكلها فعالاً بما يكفي على اعتبار أن الطيور تتبع المزارع الذي يبذر في مقدمة اللوحة وتنفق البذور من الأرض.

ويحلول القرن السادس عشر، أصبحت الإشارات إلى الفزاعات في الأدب شائعة وكان هناك العديد منها في أعمال شكسبير في مسرحيته الصاع بالصاع Measure for Measure الفصل الثاني، المشهد الاول، حيث يجادل أنجيلوا النائب الدوق فينسينتو لتطبيق القانون بقوة بقوله:

ينبغي ألا نجعل من القانون فزاعة
موضوعة لتخيف الطيور الجارحة

(١) كاهن من السلتي في بلاد الغال وبريطانيا القديمة.

تمت تجربة أنواع متعددة من الأساليب لإيقاظ الغربان بعيداً عن الحقول. وهذه الصورة من أواخر القرن التاسع عشر تظهر الهنود الحمر (سكان أمريكا الأصليين) وهم يضربون على المقالي.



ونبقيه في شكل واحد، حتى تجعله العادة ملجأ لها، وليس مصدر خوفها

كانت الإشارات الى الفزاعات في الأدب غالباً ساخرة وتهكمية، وكتب دبليو. بي. ياتس في قصيدته (بين أطفال المدرسة) *Among School Children*: الملابس القديمة على العصي القديمة تخيف الطائر. وفي أعمال ادmond سنير من عصر النهضة، أصبحت الإشارات إلى الفزاعات مزدراة بشكل خاص. ومع ذلك وبينما تقترب من العصر الحديث، أثارت عدم فاعلية الفزاعات شفقة أكثر واحتقاراً أقل. وبالتدرج، أصبحت الفزاعات تُعتَبَر نوعاً من التراث الشعبي وتذكراً عاطفياً بماضينا الريفي.

في الليل، لا تبدو الفزاعات أكثر من ظلال في أمام صفحة السماء التي يضيئها القمر، ويمكن لها أن تكون فعالة جداً في إخافة الناس الذين يصادفونها فجأة. كانت الفزاعة بين الألمان الذين استقروا في بنسلفانيا تدعى *bootzamon* وتقول إحدى الأساطير الأمريكية إن هذه الفزاعات تدب فيها الحياة في الليل. وعبر السنوات تغير الاسم إلى *bogeyman* وهو شكل يستخدم لإخافة الأطفال ودفعهم للقيام بالتصرفات الجيدة.

(العادة لا تصنع راهباً).
 كانت الفزاعة تستخدم
 غالباً كرمز للحماقة، كما
 في هذه القصة الهزلية
 الفرنسية منذ حوالي قرن
 من الزمان.



ولعل أول قصة من بين العديد التي كانت فيها الفزاعات شخصيات رئيسية كانت رأس الريش «Feathertop» لنانايل هاوثورن والتي نشرت للمرة الأولى في ١٨٤٦ كجزء من مجموعته «طحالب من منزل القس القديم» Mosses from an Old Manse. حيث تحاول ساحرة من

نيو انغلند تدعى الأم ريغبي أن تصنع فزاعة أقرب ما تكون الى الحقيقة، لتحمي حقولها من الغربان والطيور السوداء. وكان ظهر الفزاعة مصنوعاً من عصا المكنسة كانت تركبها في الليل. وكان جسم الفزاعة مصنوعاً من حلية رائعة ولكنها باهتة من لندن وباريس، ورأسها يقطينة محفورة وشعرها من الريش. ولكنها قررت أن الفزاعة كانت أفضل من أن تبقى في الحقول، فقامت بإحيائها من خلال إعطائها غليونها السحري لتدخنه وتم أرسلتها لتتودد إلى الفتيات الشابات في المدينة. وكان رأس الريش «Feathertop» هو اسم الفزاعة واستطاع أن يثبت نفسه كرجل فطن وله تأثير كبير. وعلى الرغم من ذلك، عندما لاحظ أنه ليس أكثر من حزمة من القش، قام الفزاعة برمي الغليون بعيداً ومات.

رغم أن قصة هاتورن أصبحت منسية في هذه الأيام إلا أنها جعلت من الفزاعة عنصراً مهماً في الثقافة الشعبية، بقطرة بدائية ولكن مع قليل من الثقة مثل «Feathertop» رأس الريش الشكل الذي أصبح منذ بداية القرن الثاني عشر نموذجاً لأكثر الفزاعات التي تلتها في الأدب وحتى في الحياة. وظهر ذلك في الفزاعة في قصة ساحر أوز العظيم The Wonderful Wizard of Oz والتي صدرت في ١٩٠٠ للكاتب ل. فرانك باوم وتمتاتها، وهي رواية خيالية تركز قليلاً على العصور الوسطى، أصبحت إحدى الشخصيات المفضلة في أدب الأطفال، حيث يكون المقطع الذي تلتقي فيه دورتي بطلة الرواية بالفزاعة من أشهر المقاطع في أدب الأطفال. في البداية استطاع الفزاعة إخافة الطيور ولكن فيما بعد نظر إليها غراب عجوز وحط على كتفها، وكما روى الفزاعة الحوار، فقد قال لها الغراب:

(أتعجب أن ذلك المزارع فكر في خداعي بهذه الطريقة الخرقاء. إن أي غراب عاقل يستطيع أن يرى أنك محشو بالقش.) ثم قفز إلى الأسفل على قدميه وأكل الذرة التي أرادها، ولما رأت الطيور الأخرى أنني لم أؤذها أتت لتأكل الذرة أيضاً، وهكذا وفي وقت قصير تجمّع سرب عظيم من الطيور حولي. وقد جعلني هذا الأمر أشعر بالحزن فقد تبين أنني لست فزاعة جيدة

في النهاية، ولكن الغراب العجوز واساني بقوله (لو كان لك عقل في رأسك فستكون رجلاً جيداً مثل أي منهم بل وأفضل من بعض منهم، فالعقل هو الشيء الوحيد في هذا العالم الذي يستحق أن يملكه المرء، ولا يهم إن كان غراباً أو رجلاً) (٦).

ويكاد الجميع تقريباً يعرفون ما حدث لاحقاً، فبعد العديد من المغامرات أظهر ساحر أوز للفزاعة أنه كان ذكياً جداً طوال الوقت، وكل ما كان الرجل القشي يحتاجه هو شهادة تعترف بذكائه. وتستيق القصة نزعات الثقافة الشعبية في القرن العشرين التالي، والتي أصبح فيها تقدير الذات المتزايد يُقدم على أنه الحل لمجال واسع من المشاكل الشخصية والاجتماعية. حيث أن جنوم الغراب العجوز الحكيم على كتف الفزاعة كأنه صديقه أصبح صورة ساخرة في الثقافة الشعبية الأمريكية. وهي تُرى على الملصقات وفي كل مكان في كل عيد قديسين، على الرغم من أن القليلين من الناس يلاحظون أن مصدرها هو رواية ل. فرانك باوم الكلاسيكية للأطفال.

في انكلترا، تزامم فزاعة أوز على الشعبية دمية حقول أخرى باسم ورزل جوميدج والتي ابتكرتها الروائية باربرا ايوفان تود في عام ١٩٣٦. تتم إعادة سرد قصصها باستمرار في الإذاعة والعروض التلفزيونية والأفلام. ورزل كان له رأس من اللفت المقطوع ويرتدي قبعة بولينغ سوداء، وهو ساذج محبوب ولكنه سريع الغضب. وبالتأكيد لم يكن مخيفاً بالنسبة للطيور الأصغر وقد جعل زوج من الطيور المغردة عشهما في جيبه الأمامي وكانت عصافير الدوري تسرق القش من جسمه، ولكنه قام بعمل محترم جداً في إخافة الغربان، ويشرح ورزل سبب نجاحه هذا، بأنه يبدو أشعث كثيراً والغربان من محبي الترتيب، باستثناء عندما تكون في أعشاشها. وفي علاقاته بالطيور، ربما كان ورزل يشبه العم أو الخال قليلاً من حيث تمكنه من إخافة الراشدين ولكنه ودود مع الأطفال.

ومثل العديد من الأشياء الأخرى المصنوعة يدوياً والمرتبطة بالحياة الريفية، فقدت الفزاعات التقليدية الكثير من منفعتها، المشكوك فيها دائماً، ولكنها اكتسبت جاذبية الحنين إلى الماضي في عصرنا العالمي التقنية. وهؤلاء

المزارعون العازمون فعلاً على إخافة الغربان قد يبنون العديد من النماذج الكهربائية في حقولهم، وبعضها مبرمج على أن يضيء في فترات منتظمة أو يصدر صوتاً مثل صوت إطلاق المسدس، وبعضها الآخر يحتوي تسجيلات لأصوات إطلاق نار وأصوات أخرى مخيفة. والعديد من الفزاعات المتطورة تقنياً تقوم بتحريك أطرافها أو إدارة رأسها ولا تزال فعالية هذه الدمي في إخافة الغربان غير مؤكدة عل الرغم من أنها فعالة تماماً في إخافة البشر.

وعلى أي حال، فعلى المزارعين المهتمين جدياً بمسألة إبعاد الغربان أن يتكروا أشياء جديدة باستمرار، من أجل أن يسبقوا الطيور بخطوة. ومؤخراً قامت كاثرين الستون بالكتابة عن أحد المزارعين في أريزونا وهو من هنود الهوبي، وقد أحضر مسجلة وأدار الصوت عالياً لتصدر موسيقى الروك والرول عبر حقله. وعندما عاد في اليوم التالي، كانت هناك غربان أكثر من قبل في حقله وهي تقفز بمرح مع النغمات.

اكتسبت الفزاعات موقعها كعمل فني مع القليل من الدرائع حول مدى فائدتها. واليوم لدى العديد من المجتمعات الريفية في أمريكا مهرجانات سنوية للفزاعات في تشرين الأول، تتميز بالكثير من المرح خلال صنع الفزاعة وهي تعكس ثقافات الأمم التي تُصنع فيها. والفزاعات الفرنسية صارمة، ربما على أمل أن تجذب الغربان أن ملامحها تحمل تهديداً، في حين أن الفزاعات الأمريكية المتفائلة تبسم للأبد. يستخدم الانكليز والاييرلنديون فزاعاتهم في الهجاء السياسي. وفزاعات هنود منطقة زوني في الجنوب الغربي الأمريكي هي شياطين ملونة مبنية من العظام والخرق وجلود الحيوانات. وغالباً ما يصنع اليابانيون الفزاعات على هيئة إله الحصاد سوهدو نو كامبي، وتترك بعض التقدّمات من حلوى الأرز في بعض الأحيان عند أقدام التمثال، وتقول التقاليد إن هذا الإله سيجعل منزله لهذا الموسم في الفزاعة.

وفي القرن العشرين ازداد مجال وتنوع الفزاعات في كل مكان تقريباً. وهي تقدم الفرصة لعبث الخيال المفتوح. واليوم، هي أشباح ومشعوذون ومصاصو دماء وراقصون وكائنات فضائية ونجوم غناء وشياطين متنوعة.

هوامش

- ١ ماري ويب، Precious Bane، (نيويورك، ١٩٦٠م)، الصفحة: ٤٥.
- ٢ ويلسون، ألكسندر وتشارلز لوشيان بونايرت، The Natural أو American Ornithology، History of Birds in the United States، المجلد الرابع، تحقيق روبرت جامسون (ادنبرة، ١٨٣١)، الجزء الأول، الصفحات ٢٣٧-٢٣٨.
- ٣ جيمس غيبيلين ودال فرجسون، The Scarecrow Book، (نيويورك، ١٩٨٠)، الصفحة: ٢٨.
- ٤ المرجع السابق، الصفحة ١٨.
- ٥ توماس هاردي، جود المغفور (Jude the Obscure) (نيويورك، ١٨٦١)، الصفحة: ١٩.
- ٦ ل. فرانك باوم، ساحر أوز الرائع (The Wonderful Wizard of Oz) (نيويورك، ١٩٦٠)،
الصفحة: ٤٧ز

8- القرن العشرون وما بعد

كن بخير! وإن كان إلى الأبد

فكن بخير إلى الأبد.

كاو! كاو! كاو

شين أوكاسي^(١)، «الغراب الأخضر»

إن جميع الكتابات أو الفنون حول الحيوانات هي محاولة للتواصل مع عالم الطبيعة، ولكن الناس يفهمون الطبيعة عبر العديد من الطرق المتباينة؛ فبالنسبة إلى فان كوخ كانت الطبيعة لا تزال مصدرًا للتناغم، ولكن مع اقتراب القرن التاسع عشر من نهايته، ازداد انشغال الناس بعنف الحياة في البرية. وبعد عقود عدّة من السلام النسبي والازدهار، شعر الكثيرون من الأوروبيين والأمريكيين الشماليين بالملل والاضطراب. ويربط المفكرون مثل فريدريك نيتشه^(٢)، المخلوقات البرية وخاصة منها المفترسة بالماضي الطولي والحيوية البدائية لأبطال قصائد هومر. وقد ملأت هذه الروح أعمال رواد الأسلوب المعروف بـ (قصة الحيوان البري) مثل روديارد كيبلينغ^(٣) في بريطانيا وإيرنست تومبسون سيتون^(٤) في أمريكا الشمالية، حيث فكرا في الحيوانات وكأنها تعيش على مقياس ملحمي، مما يغيّر تدهور الرجال والنساء من الطبقة البورجوازية. وكتب سيتون في مقدمة كتابه (الحيوانات البرية التي عرفتها) Wild Animals. have Known، «دائمًا ما تنتهي حياة الحيوان البري نهايةً مأساوية». ثم يمضي في سرد قصص حيوانات متعددة، كان العديد منها مرتدًا رومانسيًا عن الحضارة.

(١) كاتب مسرحي إيرلندي شهير (١٨٨٠-١٩٦٤).

(٢) فيلسوف وعالم لغويات ألماني (١٨٤٤-١٩٠٠).

(٣) شاعر وكاتب بريطاني (١٨٦٥-١٩٣٦).

(٤) كاتب شهير من اصل اسكتلندي يعيش في كندا وحصل على الجنسية الأمريكية (١٨٦٠-١٩٤٦).

يعكس فن إيفان بيليين^(١)

قسوة (١٨٧٦-١٩٤٢)

الحياة في روسيا في بدايات

القرن العشرين، والمجاعات

والإعدامات الجماعية

والحروب.



ومن بين حكاياته عن الحيوانات الأبطال كانت قصة (البقعة الفضية، قصة غراب) Silverspot, the Story of. Crow». ومثل أغلبية أبطال سيتون من الحيوانات، كان الغراب سيلفربوت أو البقعة الفضية محارباً يتمتع بشجاعة ودهاء استثنائيين، وقد سُمي بهذا الاسم بسبب وجود بقعة فاتحة إلى جانب منقاره. وكان يقود سرباً يتألف من حوالي مئتي غراب على تل قرب تورونتو، ومثل ضابط عسكري، كان يدرّب الغربان تحت إمرته في مناورات للحصول على الطعام أو تجنب الأخطار من مثل الرجال المسلحين. وازدهر حال السرب تحت إمرته حتى قتله بوم في إحدى ليالي الشتاء. وبخسارة قائدها انخفضت أعداد الغربان وبدأ أنه حُكم عليها بالنسيان.

وعلى الرغم من عمل بضعة مراقبين أذكىاء مثل جيلبيرت وايت، فإن دراسة سلوك الحيوانات بقيت ساكنة منذ أيام أرسطو وحتى داروين. وبحلول نهاية القرن التاسع عشر، كان لا يزال بعيداً عن كونه فرعاً أكاديمياً معترفاً به. وكان لسيتون بالتأكيد طموحات علمية، حيث أكد أن جميع قصص

صورة من رسم الفنان بول

غوغان (أبدأ، ليس بعد الآن)

Nevermore (١٨٩٧)،

والتي تشير إلى قصيدة إدغار

ألان بو (الغراب) The

Raven ولكن بطريقة

غامضة. ربما تستلم المرأة

التأهيتية رسالة من حبيبها

بواسطة الغراب...





هذه الصورة تمثل تفسير ادوارد

مانيه ومالارميه لقصيدة بو

The Raven (الغراب)

حيث يُظهران المتحدث

كأرستقراطي يعيش في قصره

في مدينة صناعية ويبدو كل

من الطائر المنزل في غير

مكانهما الصحيح .

الحيوانات التي أوردتها كانت صحيحة، باستثناء بضع تكهنات وإضافات تزينية بسيطة. وكان أكثر علماء الطبيعة شعبية في عصره، على الرغم من أنه لم يكن يتمتع بسمعة طيبة فيما يخص الدقة بين العلماء زملائه، ولكنه وبالتأكيد امضى وقتاً طويلاً بين الحيوانات وحاول تدوين ملاحظاته بعناية، حتى أنه في قصة البقعة الفضية Silverspot، استخدم النغمات الموسيقية لتدوين لغة الغراب.

في الحقبة التي شكك فيها العديد من الشعراء والروائيين في احتمال وجود البطولة التقليدية وتحولوا إلى أعداء للأبطال مثل ج. ألفريد بروفورك أو ليوبولد بلوم، ملأ سيتون قصصه عن الحيوانات بأبطال عنيين متورطين في معارك ملحمة. وكان دائماً ينظر إلى الحيوانات من منظور يدعى في بعض الأحيان «نظرية الرجل العظيم حول التاريخ» وهو منظور يؤكد على الأفراد المتميزين أكثر من الظروف والعوامل الاقتصادية أو الجغرافية. ولو أن هذه

ربما يكون هذا الطائر الذي

يظهر في هذا الإعلان

الفرنسي من العشرينات

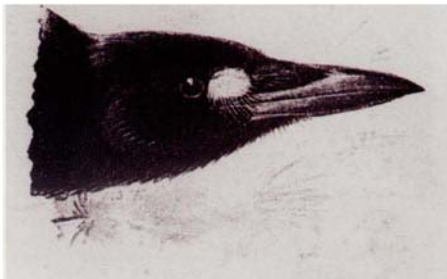
من القرن العشرين غراباً

ذا قلنسوة، وهو طائر يرتبط

بحماية بالأرض والطقس.

pi Volo
APERITIF





أعلى الصفحة إلى اليمين:
 يد فنجان صيني، جوهرة
 المجموعة: لوحة للفنان
 إيرنست تومبسون سيتون
 لقصته «البقعة الفضية: قصة
 غراب»: Silverspot

The Story of Crow
 (١٨٩٨).

لوحة لوجه البقعة الفضية
 Silverspot لايرنست
 تومبسون سيتون.

القصص كتبت عن البشر فلربما كانت ستعتبر أدياً رديئاً، ولكن بما أنها كتبت عن الحيوانات فإن ميله نحو العاطفة والإثارة (الميلودراما) كان أكثر من مقبول. وأصبح كل من حيوانات سيتون الأبطال نسخة من هانبيعل، وروبن هود أو هيئة مجدة من الماضي. أما بالنسبة للبقعة الفضية Silverspot فقد كان هذا الغراب نوعاً من ويات ايرب^(١) أو وايلد بيل هيوكوك^(٢)، يدافع عن المجتمع الحدودي ضد قوى الفوضى حتى نهايته المأساوية. وتظهر بعض الغرابان سلطوية أكثر من غيرها، على الرغم من أنه من الصعب تصديق فكرة أن مجتمع الغرابيات الكبير يمكن ان يقوده قائد فرد. ومن جهة أخرى

(١) ١٨٤٨-١٩٢٩، مزارع أمريكي وصياد ثيران وشرطي في العديد من المدن الأمريكية ومقامر وحلاق وعامل مناجم وحكم ملاكمة، وقد أصبح رمزاً في التاريخ الشعبي الأمريكي وموضوعاً للعديد من الأفلام والبرامج التلفزيونية.

(٢) جيمس بانثر هيوكوك (١٨٣٧-١٩٧٦) شخصية من الغرب الأمريكي القديم معروف بمهاراته في استخدام السلاح واقتفاء الأثر وله سمعة طيبة كرجل قانون.

فإن الغربان مليئة بالمفاجآت ولذلك ليست هناك طريقة للتأكد.

اكتسبت الدراسة العلمية للغربان شعبية بعد بضعة عقود من خلال أعمال عالم السلوك الحيواني النمساوي الشهير كونراد لورنز^(١) الذي كان رائداً مثل سيتون. تومبسون وأكثر براعة بكثير. ونظراً إلى سيطرة الحربين العالميتين على النصف الأول من القرن العشرين فقد كان كل من عالمي الطبيعة يفكر بالحيوانات باستعارات عسكرية. حيث انضم لورنز إلى الحزب النازي مباشرة بعد الاجتياح الألماني للنمسا في عام ١٩٣٨، وأعلن في طلب انتسابه أن «عمل حياتي العلمية بكامله. والذي تحتل فيه الأسئلة حول النشوء والأعراق والتحليل النفسي الاجتماعي الأهمية الكبرى. في خدمة الفكر الوطني الاجتماعي» (١) وبعد وقت قليل أصبح لورنز أيضاً عضواً في المكتب الحكومي لسياسة الاعراق. وبعد الحرب تمكن من إخفاء مشاركاته السياسية وألف كتاباً مشهوراً يدور حول حياته مع الحيوانات بعنوان خاتم الملك سليمان «King Solomon's Ring»، والذي سرعان ما أصبح من بين أفضل الكتب مبيعاً على مستوى العالم.

كان الكتاب مليئاً بمقالات صغيرة وصور لطيفة. واحتفظ لورنز بغراب أليف كان يُزعج الجيران أحياناً من خلال سرقة ملابس السيدات الداخلية من على حبال الغسيل، ولكن مستعمرته من غربان الزيتون الأسيرة قدمت للورنز مخزوناً عظيماً من المواد. وفي إحدى المرات قام عدد كبير من غربان الزيتون مهاجمته وبدأت بنقر إحدى يديه. ولاحظ فيما بعد أن ذلك أنه كان يحمل في يده بنطال سباحة أسود مترهلاً ويبدو مثل غراب صغير. وتوصل عندها إلى نتيجة أنه لدى غربان الزيتون غريزة دفاعية يمكن إطلاقها عبر مشهد أي شخص يحمل شيئاً يشبه فراخها.

ومع ذلك فإن خلفية الكاتب كنظري نازي كانت واضحة في منظوره القاسي للطبيعة كميدان للهيمنة والصراع الدائم. ومثلما كان التفوق الفردي راسخاً لدى إيرنست تومبسون سيتون، كذلك كان لورنز مشغولاً

(١) (١٩٠٣-١٩٨٩) عالم حيوانات نمساوي وخبير في علم نفس الحيوانات، وحاز على جائزة نوبل.



هذه الصورة تعرض لوحة كتاب انكليزي تعود لبدأيات القرن العشرين يظهر فيها مهرج من العصور الوسطى يؤنس غراب وحدته وهو نوع من (الأحمق الحكيم)

على الصفحة المقابلة:

لوحة ليايلو بيكاسو، امرأة برفقة غراب (١٩٠٤). ولعله بسبب تأثير ديكنز وبو، أصبحت الفكرة السائدة حول الغربان أنها رفيقة المنبوذين وغربيي الأطوار.





THE ANGELS OF PEACE DESCEND ON BELGIUM

صورة ساخرة في الصحيفة

الندنبة Evening

Standard بتاريخ ١٠

حزيران ١٩٤٠: ويظهر فيها

هيملر والنازيون الآخرون

كغربان يجلبون الدمار في

إثرهم.

بالتسلسل الطبيعي. وادعى لورنز أنه لاحظ أن غربان الزيتون في مستعمرته كانت منظمة بدقة على هيئة نظام هرمي. حيث يعرف كل غراب منها بالتحديد أي الحيوانات تعلوه مرتبة أو هي أدنى منه، تماماً كما في الجيش. وبعض غربان الزيتون التي حددها لورنز على أنها ذات مرتبة عالية لم تكن عادة تقبل أن تكون لها علاقة مع من هي أدنى منها فرضياً. فكيف يمكن إذاً التأكد من صحة وضع المراتب؟ ولربما تكون هذه المراتب غير قابلة للنقل أو في قلب مستمر؟ لم يضع لورنز في اعتباره هذه الاحتمالات ولكنه قدم تفسيراً آخر: (إن غربان الزيتون ذات المرتبة العالية جداً لا تتعاطف أبداً مع المراتب الأقل وتعتبرها كالغبار تحت أقدامها...)(٢).

وبكلمات أخرى، فإن سرب غربان الزيتون كان نوعاً من مؤسسة ضخمة حيث لا يتنازل أصحاب المراتب العليا حتى بالتحدث مع عمال خطوط التجميع.

لطالما قام الناس بوصف المجتمعات الحيوانية بأوصاف المؤسسات المألوفة، وجعلوا منها نمالاً وجيوشاً وجمهريات اشتراكية أياً كان النمط السائد في أيامهم.

وكما لاحظنا، كان سيتون ولورنز قريبين من بداية دراسة السلوك الحيواني، والتي أضحت أكثر تعقيداً وتطوراً بكثير منذ منتصف القرن العشرين. كلا العالمين أشعل جدالات مكثفة حول المكانة العلمية لأساليبهم واستمرت الجدالات حتى يومنا هذا. سيتون ولورينز كانا يقومان بتجسيم الحيوانات بدون خجل، وبمعنى آخر، فقد عزيا ردود الفعل البشرية إلى الحيوانات، ولكن ظهرت مشكلة واحدة مع هذا المنظور نحو الحيوانات وهي أنه لما كانت التغييرات الاجتماعية مستمرة، فإن عملية التجسيم بدأت تبدو قديمة بسرعة شديدة. وأن النماذج المستخدمة من قبل لورنز وسيتون لم تعد تبدو الآن وحشية أو بشرية. وحتى أن المؤسسات اليوم، في أغلب أجزائها لم تعد مرتبة مثل مستعمرة غربان لورنز.

وفي أثناء ذلك، كانت الثقافات الشعبية أكثر تجسماً من أعمال أي من علماء الطبيعة، من حيث دمج الغربان مع الأفارقة السود والتي بدأت في العروض الهزلية من خلال شخصية جاك الغراب، واستمرت بصور أقل خبثاً على امتداد القرن العشرين. في عام ١٩٤١ ظهر فيلم رسوم متحركة بعنوان دامبو الفيل الطائر، *Dumbo, the Flying Elephant*، وبطله فيل صغير له أذنان كبيرتان وغالباً ما تصاحبه غربان تتحدث بلهجات جنوبية حادة وتبدو مثل العمال السود في مزرعة. وهي تغني «أظن أنني سأكون قد رأيت كل شيء تقريباً. بعد أن رأيتُ فيلاً يطير» بشكل يشبه موسيقى البلوز. وبالرغم من ذلك نرى أن الغربان إلى جانب البطل بشكل واضح وتقدم لدامبو المساعدة والتفهم حتى أنها تساعد في تطوير موهبته على الطيران. وأيضاً وبشكل مغاير قليلاً هناك الغربان هيكل وجيكل اللذان ظهرا في سلسلة من أفلام الرسوم المتحركة من إنتاج وارنر براذرز والتي نالت شعبية كبيرة في الولايات المتحدة خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي. وهما مثلهما مثل باغز بانني والعديد من شخصيات الرسوم المتحركة في ذلك الوقت، كانا محتالين بارعين بشكل يشبه قليلاً محتالي الشوارع من الأحياء التي يسكنها الفقراء السود.

ولكن صور الغربان التي وصلت إلينا من الأوقات الانجيلية، الخيرة منها والشريرة، قلما بدت تفتقر الى الاحترام. امتلأ القرن العشرون بالكوارث التي تشبه نهاية العالم على مقياس العهد القديم، بما في ذلك معسكرات الاعتقال والقنابل النووية. وهناك الآن تهديدات أكثر ضراوة بسبب الانهيار البيئي او الإرهاب. وفي النصف الأول من القرن العشرين، خاطب الكاتب البرتغالي ميغال تورغا^(١) هذه المخاوف في قصته (الغراب فينست) Vincent the Raven»، والتي تركز على القصة الانجيلية لنوح وفلكه. وفيها يكون الغراب حيواناً في الفلك ويصبح غاضباً لأنه على الحيوانات والأرض أن تتحمل العقوبة عن الجرائم التي ارتكبتها البشر. وفي النهاية غادر فينست الفلك بدون أن يُطلب منه ذلك وحط على قمة جبل أرارات وأعلن معارضته للرب. واستمر الفيضان بالارتفاع ولكن فينست رفض المغادرة وأخيراً لاحظ الرب أنه إذا أغرق فينست فإن خلقه لن يكون كاملاً بعد الآن، لذلك فقد سمح للمياه بالتراجع على مفض. يمثل فينست في التقاليد اليهودية الأنبياء والحكماء مثل ابراهام قبل تدمير مدينتي سدوم وعمورة.

وبروح مشابهة اختار المسرحي الايرلندي شون اوكاسي (١٨٨٤-١٩٦٤) الغراب ليكون رمزاً له «طير عادي، الغراب» وكتب، مثلي أنا، مثلنا جميعاً» (٣). وأخبر قصة غراب أنثى طويلة كثة أثارت غضب المزارعين المحليين بسبب سرقتها البيض من أقنان الدجاج.

وفي إحدى الأمسيات رأى أوكاسي ضابطاً انكليزياً يدعى الرقيب روش يعرف أيضاً بالرصاصة الممتازة، وقد لاحظ اللصة سيئة السمعة على شجرة. فرفع الرقيب ببطء مسدسه وظن المشاهدون أن الغراب سرعان ما ستتحول إلى شظايا. ولكن الرصاصة لم تنطلق أبداً، فقد بدا كأن أنثى الغراب قد اختفت على الرغم من أن أحداً لم يشاهدها تطير بعيداً أو يسمع خفق جناحها، وفجأة، سمعوا من بعيد صيحة الطائر الساخرة. لم يكن على

(١) أحد أعظم الكتاب البرتغاليين في القرن العشرين (١٩٠٧-١٩٩٥).

او كاسي أن يشرح معنى هذه الحادثة لأبناء بلده، فبال تأكيد ذكرهم الغراب بالثوار الايرلنديين الذين يتحدون ويهربون من حكامهم البريطانيين عبر القرون.

وقد رأى أو كاسي نفسه بشكل أكثر تحديداً كغراب أخضر، ألا وهو من فئة الغربان السود، فاللون الأخضر كما يعرف الجميع كان اللون الذي يرتديه الثوار الايرلنديون بعد عصيان ويكسفورد في عام ١٧٩٨. والغراب الأسود هو طائر يبدو غالباً أسود اللون ولكن يمكن أن يكون إما أخضر أو أرجوانياً حسب زاوية الإضاءة. وأيضاً هذا يشبه الايرلنديين الوطنيين الذين كانوا يخفون ولاءهم الحقيقي عن خصومهم ويوحدون به لأصدقائهم في ظل الحكم البريطاني. وفي الحقيقة، تعرض او كاسي للاتهامات من قبل العديد من الوطنيين الذين شعروا بأنه تخلى عن القضية الايرلندية لصالح أمثلة اشتراكية أكثر عالمية. وكان جوابه على هؤلاء النقاد أن كون الغراب أخضر اللون في الواقع يعني أن او كاسي ايرلندي، حتى وإن كان ذلك غير ظاهر للجميع بالطريقة نفسها. وكان الكاتب المسرحي يشعر أن نضال الايرلنديين يشبه مصائب اليهود القدماء ومعاناتهم وله معنى عالمي. ويمثل الغراب جميع الناس الذين استمروا في الحياة بسبب فطنتهم في عالم تحكمه هيئات قوية مثل الامبراطورية البريطانية.

ولكن الشاعر البريطاني تيد هيموز كان يرى ذكاء الغربان على أنه سحر شيطاني، وبنسبة أقل كذكاء ريفي. وفي مجموعة هيموز الشعرية بعنوان (الغراب) Crow والتي أصدرها في عام ١٩٧٠، كان البطل مفترساً وعدم الشفقة ولكن لا يمكن قهره. وإحدى القصائد في بداية المجموعة بعنوان (امتحان على باب الرحم) «Examination at the Womb-Door» تنتهي بما يلي:

من أقوى من الأمل؟ الموت
من أقوى من الإرادة؟ الموت

من أقوى من الحب؟ الموت

من أقوى من الحياة؟ الموت

ولكن من أقوى من الموت؟

أنا، طبعاً

أوضح، غراب

ومعنى الغراب بتشبيه ذكائه بعناصر الطبيعة، ويحاول مثل البشر في العصر الحديث ان يتخلص من ضجره اللانهائي باستخدام أجهزة تكنولوجيا متنوعة بدءاً من السيارات ووصولاً إلى هبوط الصواريخ على سطح القمر. وعلى الرغم من أنه يتعرض للهزيمة في بعض الأحيان يتمكن الغراب من النجاة دائماً.

جميع الثورات الثقافية لديها جانب محافظ دائماً على اعتبار أن الإخلال بالأوضاع القائمة يسمح للتقاليد المدفونة بالظهور إلى السطح. وفي حالة الغربان، فإن هذه التقاليد تتضمن ارتباطات وثنية تسبب بعيداً جداً إلى ما قبل المسيحية واليهودية. وأحد هذه الأمثلة نجد في رواية بيتر بيغل (مكان جميل وخاص). Fine and Private Place حيث أن هذه القصة تستند جزئياً إلى قصة النبي إليخيا الواردة في الانجيل، والذي انسحب إلى البرية حيث تولت الغربان إطعامه ومُنح في النهاية القدرة على رؤية الأموات المبعوثين. تقع أحداث الرواية في مقبرة إحدى ضواحي المجتمع المعاصر في الولايات المتحدة، حيث يعيش صيدلي غريب الأطوار يدعى السيد ريبوك، وهو يتحدث ويرحب بأرواح الموتى ويقوم غراب ناطق بسرقة الشطائر ليطعمه. ومثلما نرى أن السيد ريبوك عالق بين عالمي الأحياء والأموات نجد أن الغراب يكافح بصعوبة كلاً من الطبيعة والحضارة البشرية. ومثل العديد من المثاليين الآخرين، يتحدث الغراب عن خدمته بفكاهة تقارب حدود السخرية: (يقول الطائر: الغربان طيور عصابية نوعاً ما، ونحن أقرب إلى الناس من أي طائر آخر ونحن ملتزمون بهم طوال حياتنا ولكن ليس علينا أن نحبهم). في النهاية يغادر السيد ريبوك المقبرة ليجتمع بين شبحين يدعيان



صورة المصقّ الإعلاني عن
فيلم الغراب The Crow،
بطولة براندون لي، الذي ظهر في
عام ١٩٩٣ وهو نموذج جيد عن
الروحانية الغامضة والانتقائية
لأواخر القرن العشرين.

مايكل ولورا عاشا حياة هادئة وغير مكتملة على أمل أنهما سيولدان من جديد من خلال الحب. وتنتهي الرواية بالغراب وهو يحلق في دوائر بعيداً، بعد أن انتهت الحاجة إليه، وهو بلا شك يراقب الناس بالفكاهة الساخرة نفسها كما من قبل.

أوجد العالم الحديث جميع أنواع المواجهة بين التقاليد الشعبية والدينية والتي كانت منفصلة في السابق بفعل حواجز التعاليم والجغرافيا. وتشمل هذه الحركات مجالاً واسعاً من الديانات الشعبية مثل الفودو والسانتريا^(١)، التي تتركز بشكل كبير على الأحياء الفقيرة لأميركا اللاتينية وجزر الكاريبي، وحتى روحانية العصر الحديث والتي تجذب الطبقة الوسطى في أوروبا وشمال أمريكا بشكل خاص. ويشكل الغراب أو الغراب الأسود في جميع هذه الحركات التوفيقية رمزاً مهماً. ويزعم أن ماري لافيو، وهي ساحرة قوية في القرن التاسع عشر وكانت تعرف بملكة الفودو في نيوأورليانز. كانت تعود من بين الأموات في بعض الأحيان على هيئة غراب.

من الصعب القول إلى أي درجة يعكس هذا الأمر الحياة الواقعية أو يحمل معانيه إليها اليوم، ولكن العديد من الأفلام والتسالي الشعبية تبدو وكأنها تركز على مفهوم الشرف في الفترة التي سبقت ظهور المسيحية والتي يعتبر فيها الانتقام واجباً مقدساً. وخير مثال على هذا هو فيلم الغراب The Crow من إخراج أليكس بروياس والذي عرض في عام ١٩٩٣ وسرعان ما أصبح محورا لطائفة دينية. وهو يدور حول موسيقي روك شاب يدعى أليكس دارفن تم قتله مع خطيبته من قبل عصابة لصصوص في يوم عيد جميع القديسين. وإبراشاد غراب يعود دارفن من عالم الأموات ليجت عن الانتقام، ويقوده الغراب إلى كل واحد من القتلة حيث يقوم دارفن بمعاقتهم بموت مؤلم، واحداً إثر الآخر. وتفصل مشاهد تظهر الغراب محلقة بين حلقات الانتقام في هذه الملحمة السينمائية.

إن الفيلم جيد من حيث التقنية ولكنه كان سيكون عادياً لولا نجمة

(١) ديانة أصلها من جزر الكاريبي.

الشاب براندون لي الذي يلعب دور درافن، وهو ابن أسطورة الكونغ فو بروس لي وهو أيضاً خبير فنون قتالية. ونشاهد خلال الفيلم مشاهد يحاول فيها رجال العصابة قتل درافون بالرصاص أو السكاكين ليكتشفوا انه لا يمكن إيذاء رجل ميت بالفعل. ولكن حدث خلال تصوير أحد المشاهد النهائية أن مسدساً يفترض به إطلاق رصاصات فارغة كان محشواً برصاص حقيقي وأصيب براندون بجروح ممتدة ومات بعد اثنتي عشرة ساعة. وبعد تحقيق مكثف قررت الشرطة أن مقتل الممثل الشاب الرائد كان حادثاً، ولكن الشائعات استمرت بالانتشار حول هذا الموضوع منذ ذلك الوقت. هل تم اغتيال النجم السينمائي من قبل مجتمع الفنون القتالية لإفشائه أسرارهم؟ هل تم قتله لأنه كان يستقصي بشكل شخصي عن العالم السفلي في الصين؟ هل ظهرت مشاهد حقيقية من مقتله في الفيلم؟ وتبع الفيلم سلسلة من الأفلام التلفزيونية وقصص المغامرات المستندة إلى هذه القصة. وأصبحت الابتسامة الشبحية لدرافن والغراب إلى جانبه صورة رمزية لمعجبي الخيال والربع عبر الولايات المتحدة وما وراءها.

وماذا عن الغربان الواقعية؟ لقد أصبحت دراسة سلوك الحيوان أكثر تطوراً في النصف الأخير من القرن العشرين وكرس العديد من الباحثين الكثير من حياتهم لدراسة الغرابيات. فمثلاً، قام لورانس كيلهام بمشاهدة مجموعة من الغربان بعناية وسجل ملاحظاته بدقة، في حين أن بيرند هينريتش⁽¹⁾ صاحب الاتجاه التجريبي، قام بالكثير من التجارب الميدانية، والتي حاول فيها أن يفهم البنية الاجتماعية للغربان السوداء من خلال تركه لجنّة أحدهم وملاحظة كيفية انتشار الأنباء حول هذا الطعم بين الطيور.

وعلى الرغم من جميع التحسينات التي قام بها الباحثون على أساليبهم فإن النتيجة التي توصلوا إليها كانت تحتوي في معظمها على الكثير من كلمة (في بعض الأحيان) والعديد من كلمة (ربما). ونظراً لكون هينريتش خريجاً منجذباً إلى الغربان السوداء، فقد أخبره معلمه ما يلي: (إن الغربان اذكي

(1) أستاذ في قسم علم الأحياء في جامعة فيرمونت ولد في عام 1940م.

رسم وجد على حجر يعود
للقرن الخامس أو السادس
الميلادي وهو يعرض صورة
للفترة التي سبقت الفايكنغ،
ويبدو فيها محاربان يقتتلان
في حين ينتظر طائر، يغلب
ان يكون غراباً، ليتلهم جثة
المهزوم.

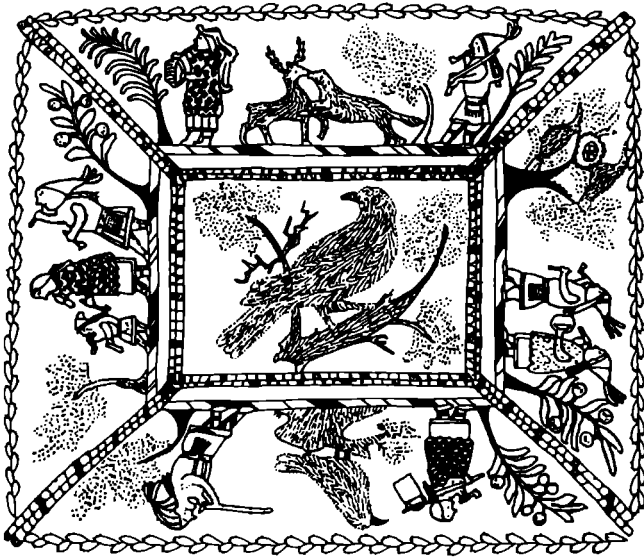


منك، وسيلزمك سنوات حتى تتفوق عليها في الذكاء بما يكفي حتى تبدأ
في الحصول على بيانات لها معنى) (٤). وبعد أن كرّس هينريتش الكثير من
حيلته لدراسة الغربان، كتب التالي:

بعد أن عشت سنوات عديدة في علاقة حميمة مع الغربان، رأيت
سلوكيات مذهلة لم أقرأ عنها في أي من تقارير الأبحاث والمقالات حول
الغربان في الأدب العلمي، والتي تجاوزت ١٤٠٠ تقرير ومقالة، وأشياء لم
أكن لأحلم بانها ممكنة. لقد أصبحت أشكك في أن تفسير جميع سلوكيات
الغربان قد تمت قولبته على نمط ردود الفئران المبرمجة والمكتسبة كالتي لدى
النحل. وثمة شيء آخر هناك .. وفي النهاية فإن معرفة أن كل ما يدور في
أدمغتها هو وجهة لا يمكن بلوغها، مثل اللانهاية (٥).

وقد اكتشف أن الغربان مثل البشر، كائنات فردية بشكل خاص وقد

هذه الصورة تعرض
تصميماً قماشياً من هنود
وودلاند من شمال شرق
أمريكا، وهي مجموعة لغوية
وثقافية كبيرة وهي تشمل
هنود الليناب Lenape.



ولدت لتتصرف بطرق لا يمكن توقعها.

إن الغرايات ومجتمعاتها مرنة إلى حد أنه من الصعب جداً القيام بالتعميم بناءً على تصرف البعض، ومثل البشر، فإن لديها ثقافات، وربما تكون الغريبان قادرة على التكيف مع مجال واسع من الظروف بما فيها، على سبيل المثال، أن تتم مراقبتها من قبل العلماء. لماذا تتجمع الغرايات في أعداد كبيرة على مجموعات محددة من الأشجار خلال الخريف والشتاء؟ حسناً، لماذا يتجمع الناس في أماكن مثل حديقة سنترال بارك؟ يمكن أن نوجه السؤال الأخير إلى مجموع علماء الاجتماع وعلماء النفس والروائيين وسيخرجون جميعاً بأجوبة مختلفة جداً. سيقومون جميعاً بطرق مختلفة، بالتأكيد على أمور مثل القوة والتواصل الاجتماعي والطعام والروحانية والجنس والطبيعة والنقود والخوف وهكذا، بالاعتماد على اهتمامتهم وأولوياتهم الشخصية. وأغلب الإجابات ستبدو مقنعة إلى حد ما، ولكن لن يكون أحدها كاملاً تماماً. وسيروي كل جواب شيئاً ما حول الغريبان ولكنه

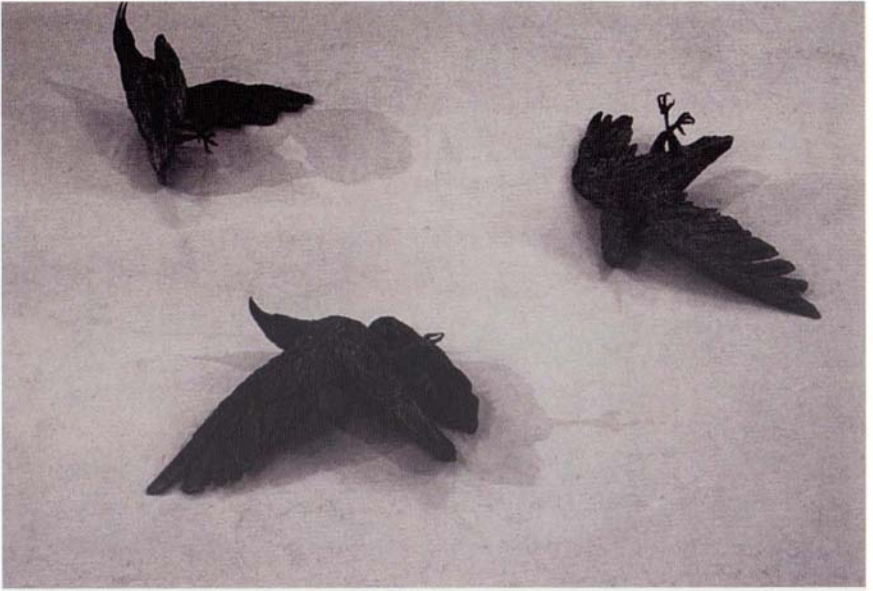
سيروي أكثر عن المتحدث.

ويمكن أن يقال الشيء نفسه تقريباً عن هؤلاء الذين يكتبون عن الغربان التي تتجمع على الأسطح أو في الأشجار، حيث أن هناك درجة معينة من التجسيم لا يمكن تجنبها عند طرح مثل هكذا سؤال، وهذا سيعكس نفسية الباحث. فإن قالت إحدى العالمات إن الغربان تفعل ذلك بغرض الحماية، فإن هذا قد يعني، على سبيل المثال، أنها تشعر بعدم الأمان، وإذا قال عالم إنها تفعل ذلك بهدف اجتماعي، فالجواب قد يعكس شعوره بالوحدة. وقد يكون لسلك الغربايات العديد من الأوجه التي لن تحظى بتفسير واف.

في القرن العشرين الماضي وما بعده، كانت الغربان من بين العناصر القليلة جداً في تصوير الطبيعة الريفية التي تبدو بريّة حقاً. عادة ما تكون الغربان واضحة بألوانها السوداء اللامعة وخاصة عندما تُرى في مواجهة الثلج أو سماء الصباح المشرقة. وهي صاحبة كذلك، ونداءاتها وإن لم تكن موسيقية تماماً، فهي جذلة بالتأكيد. ومن الغريب جداً أن الناس لا ينتبهون أكثر إلى الغربان، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الغربان ليست مهمة بالنسبة إلينا.

وعالماً ما يكون الجزء الأكبر من سبب تجاهلنا للغربان هو أنه ليس لدينا سبب نفعي للانتباه إليها. ونحن نعرف طرقاً كثيرة لاستغلال غالبية الحيوانات التي تعيش على مقربة من البشر، فالحمائم مثلاً، تؤكل ويتم استخدامها لإيصال الرسائل، ويستخدم الملايين من الجرذان والأرانب في التجارب في كل سنة. ولكن الغربان تقع بين المخلوقات القليلة جداً التي تمكنت تقريباً من احتلال مساكن البشر نفسها في الوقت الذي تقدم لنا نفعياً، القليل جداً من الفائدة أو الضرر. وهي عادة ما تعطي الناس انطباع اللامبالاة المهيب، كما لو أنها تنتظر بصبر انتهاء عهد البشر. إن فائدتها الرئيسية بالنسبة للبشر، إن وجدت، هي كونها إشارة إلهية أو نذيراً بشكل عام.

وربما يكون سبب اعتبارنا الغربان أمراً مسلماً به في غالبية الأحيان يظهر نوعاً خاصاً من الحميمية. وبطريقة مشابهة، فإننا نقفل في ملاحظة الأوجه



التي تعبر بنا في شارع مزدحم. ولكن عندما يبدأ الناس بالانتباه إلى الغربان،
فغالباً ما يكون ذلك في أوقات الأزمات، كما عندما يبدأ الرجال والنساء
العقلانيون والرزينون بالبحث عن إرشاد من القدر. إنَّ الغراب يُشيرُ مشاعر
التعجب التي لا تزول بالألفة وبذلك فإنَّ الغربان تشبه البشر كثيراً بكثير
من الطرق.

هذه الصورة تعرض منحوتة
الغربان الثلاثة Three
Crows لكيكي سميث
(١٩٩٥) والتي قد تكون قد
شُكلت على شكل صليب
وفقاً لطيور حقيقية سقطت
من السماء، وقد قتلت بفعل
الغازات السامة أو المبيدات.

هوامش

- ١ بنديكت فوجر كلاوس تاشوير، Die Andere Seite des Spiegels Konrad Lorenz und der Nationalsozialismus (فيينا، ٢٠٠١)، الصفحة: ٧٩.
- ٢ المرجع السابق، الصفحة: ١٤٧.
- ٣ شين أو كاسي، الغراب الأخضر The Green Crow (نيويورك، ١٩٥٦)، الصفحة السابعة.
- ٤ بيرند هينريتش، الغربان في الشتاء Ravens in Winter (نيويورك، ١٩٥٦)، الصفحة السابعة.
- ٥ بيرند هينريتش، عقل الغراب Mind of the Raven (نيويورك، ١٩٩٩)، الصفحة: الواحدة والعشرون.

الجدول الزمني للغراب



600 ق. م	3000 ق. م	10000 ق. م	12000 ق. م	20-30 مليون سنة ق. م	
وفقاً لأبولودوريس تتزوج الحسنة كورونيس التي يحبها أبولو شاباً يدعى إسثيا. ويحضر الغراب الذي كان أبيض اللون وقتها أنباء الزواج إلى أبولو الذي يقوم بتحويل الغراب إلى اللون الأسود نتيجة غضبه	أرسل نوح غراباً من الفلك لكنه لم يعثر على الأرض وفيما بعد أرسل حمامة ورسا الفلك على جبل أارات	بدأت عبادة الشامان للغراب تنتشر من سيبيريا وآسيا الوسطى على امتداد معظم نصف الكرة الأرضية الشمالي.	بدأ الغراب أكل الجثث والغراب ذو القلنسوة بالتمايز (الابتعاد) في العصر الجليدي.	بدأت الغارات بالانجراف وتقترب من بعضها، وتمكنت الغرابيات من العبور إلى آسيا، وتلا ذلك تمايز متسارع في التطور، في الوقت الذي انتشرت الأحيار فيه الطيور إلى أمريكا	من المحتمل أن تكون عائلة الغرابيات بدأت في كتلة الأرض التي تعرف اليوم باسم أستراليا.
620 م	500 م	225	20 م		
وفقاً للأسطورة، يختبئ (الرسول) محمد في كهف ليهرب من أعدائه ويحاول الغراب الذي كان أبيض اللون خيانة النبي الذي يعاقبه على ذلك بجعله أسود اللون ويلمع له لأبد.	في المعركة البريطانية بين آرثر وأوين، يمتلك الأخير قوات مؤلفة من غرابان سحرية، قادرة على الشفاء من الجروح وحتى النهوض من الموت، واقتربوا من هزيمة رجال آرثر. (حلم رونابوي The Dream of Rhonabwy في كتاب Mabinogion)	يلجأ القديس بول الناسك إلى كهف في الغابة ليهرب من الامبراطور ديسيوس. وفي كل يوم يأتيه غراب ينصف رغيفه وفي إحدى المرات كان القديس أتوني يزوره فأحضر الغراب رغيفاً كاملاً. (جاكوب دو فوراجين، الأسطورة الذهبية The Golden Legend 1290 م)	فقس غراب ناطق على سطح معبد مكروس لكاستور وبولو حيث كان يطير كل يوم إلى المجلس ويحكي الامبراطور تيريوس والآخرين بأسمائهم. يقتل الطائر ويقوم المواطنون الغاضبون بقتل المجرم ويحضر حشد كبير جنازة الغراب الراقع. (بليتي)		
1890	1890	1862-74	1845	1812	1785
أصبح الغراب الشخصية الرئيسية لدى الهنود الحمر والتي ابتدعها النبي ووفوكا	رسم فان كوخ لوحته حقول الذرة مع الغرابان تحت السماء المتوعدة Wheatfield under Threatening Skies with Crows، وهي واحدة من آخر لوحاته	تم إحصار الغرابان إلى نيوزيلندا للمساعدة في السيطرة على الخشخشات	نشر إدغار آلان بو قصيدته (الغراب) The Raven	نشر أول طبعة من حكايات الأخوين جريم الخرافية Grimm's Fairy Tales التي تحتوي قصصها على الغرابان	تتبنى ماري أنطوانيت غراباً أليفاً في فيرساي وتقوم بإطعامه كل صباح





500 ق.م

دفن السلست الغريبان في حفر خلال العصر الحديدي، وأحدها التي عثر عليها في وينكليبري كانت مرتبة بشكل متعمد وجناحا الغريبان ميسوطان في قاع الحفرة، ولعلها أصحبة شعائرية

330 ق.م

يقول أرسطو في كتابه تاريخ الحيوانات Historia Animalium أن كلاً من الغريبان الأسود (كوراكس «corax») والغريبان (كورون «corone») هما طائران يفضلان الحياة في المدن

200 ق.م

خوذة سلتية من الحديد مدفونة في سيومستي في رومانيا ويوجد على قمعتها هيئة غريبان بجناحين ميسوطين يخفقان لدى دخول المحارب إلى المعركة

43 ق.م

إنشاء مدينة ليون، Lugd-num، والتي تعني تل الغريبان حيث تبع المستوطنون رحلة الغريبان إلى الموقع



864 م

اكتشف أحد الفايكنغ أيسلندا من خلال اطلاق غريبان والابحار خلفه (ملحمة فلوكي Saga of Flokki)

1349 م

يورد كونراد فون مينينغ في كتابه المشهور عن التاريخ الطبيعي، أن الغريبان تقوم متعمدة بنقر لاستهلاك الجيف وبذلك يتبعون الامراض أعين البغال أو التيران في مزرعة



1555

أورد بيير بيلون أنه كان متنوعاً في اكتلترا إبداء الغريبان بأي شكل، تحت طائلة غرامة كبيرة، حيث أنهم كانوا يحتاجون الغريبان لاستهلاك الجيف وبذلك يتبعون الامراض من الانتشار (L'Histoire de la Nature des Oyseaux)

1667

يأمر تشارلز الثاني بتقدم طلب إلى الجمعية بوضع الغريبان العمومية في بنسلفانيا بطلب الأليفة لبرج لندن من الولاية بأن تقرض على كل من الرواد قتل دزينة من الغريبان ليحق له المطالبة بأرض على الحدود

1754

1900

نشر ل. فرانك باوم رواية ساحر أوز الرائع والتي تتضمن فزاعة.



الثلاثينات من القرن 20

كونراد لورنز العالم في سلوك الحيوان لديه غريبان أسود أليف ومستعمرة من غريبان الزيتون تزوده بمخزون من المواد التي يحتاجها لنظرياته

1970

نشر تيد هوغر مجموعة الشعرية بعنوان غريبان Crow

1993

الغريبان، فيلم من إخراج أليكس برويس، وأصبح بسرعة محورا لديانة



THE CROW

2002

تمكن غريبان في مختبر كاسيلنيك في اوكسفورد من اكتشاف طريقة كيفية ثني سلك ليصنع منه خطأ في للحصول على الطعام، في الوقت الذي فشل فيه القردة والشمبانزي في تقليد فعلتها.

قائمة الكتب المرجعية

- إيسوب، The Complete Fables، تحقيق وترجمة أوليفيا وروبرت نيمبل، (نيويورك، ١٩٩٨).
- إليان، On Animals، ثلاثة مجلدات، ترجمة أ.ف. شولفيلد، (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٧١)
- أفاناسيف، ألكساندر، Russian Fairy Tales، ترجمة نوربرت جوترمان، (نيويورك، ١٩٧٣)
- القرظوني، حمدالله المصطفى، قسم علم الحيوان في نزهة القلوب، The Zoological Section of the Nuzhatu-L-Qulāb، تحقيق وترجمة ج. ستيفنسون (لندن، ١٩٢٨).
- أنجيل، توني، Ravens, Crows, Magpies, and Jays، (سياتل، واشنطن، ١٩٧٨)
- أبولونيس الرودوسي، The Voyage of Argo، ترجمة إ.ف. ريو، (نيويورك، ١٩٧١).
- أرسطو، Historia Animalium، المجلد الأول، (الكتب ١-١٠)، تحقيق د.م. بالم (كامبردج، ٢٠٠٢)
- أرسطوفانيس، الطيور، في Aristophanes، المجلد الثالث، ترجمة بينجامين بيكلي وجرز (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٧٤)، الجزء الثاني، الصفحات ١٢٣-١٣٠.
- أوسويتيد برس، Smart Crow makes her own tools to get food. research، صحيفة هامبشير اليومية Daily Hampshire Gazette، (٨ آب ٢٠٠٢)، العمود ١٠.
- بابريوس و فهدريوس، Babrius and Phaedrus، ترجمة بين إدوين بيرى (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٦٥)
- بارهام، ر.إتش (الاسم المستعار: توماس انغولدسبي)، The Ingoldsby Legends. or Mirth and Marvels (لندن، ١٨٦٦).
- باوم، ل. فرانك، The Wonderful Wizard of Oz، (نيويورك، ١٩٦٠)
- بياغل، بيتر س.، Fine and Private Place، (نيويورك، ١٩٩٢).
- بيلون دو مان، بيري، L'Histoire de la Nature des Oyseaux: Facsimilé de l'édition de ١٥٥٥ (جينيف، ١٩٩٧).
- بيرنارد بروس، Vincent by Himself: Selection of Van Gogh's Paintings and Drawings Together with Extracts from his Letters letters، trans. Johanna Van Gogh (يوسطن، ماساشوستس، ١٩٨٥)
- بيرشورست، جون، Mythology of the Lenape، (توسكون، أريزونا، ١٩٩٥)
- بوك، ويليامز، ترجمة، Ramayana (بيركلي، كاليفورنيا، ١٩٧٦)
- بورتر، ديبى، Animal Totem Astrology: How to Use Native American Totems to Uncover your Unique Relationship to Nature and the Seasons (سيدني، ٢٠٠١)

- كاتب بيل، جوزيف، Historical Atlas of World Mythology، مجلدات (نيويورك، ١٩٨٨)
- سيرفانتس، ميغال دو، Adventures of Don Quixote، ترجمة ج. م. كوهين (نيويورك، ١٩٨٨)
- كريستي، أنتوني، Chinese Mythology (نيويورك، ١٩٩٦)
- سيسرو، (ايريست، ماساشوستس، ١٩٩٧). The Nature of the Gods and On Divination، ترجمة س. د. يونغ
- كليزي، ريتشارد، جودبراند فيغوسون، An Icelandic-English Dictionary (أوكسفورد، ١٩٥٧)
- كرومب، فرانكلين، The Crows: Study of Corvids in Europe، (لندن، ١٩٧٨).
- داهنهارت، أوسكار، Naturgeschichtliche Volksmärchen، مجلدان، الاصدار الثالث، (ايبيغ، ١٩٠٩)
- دايفس، كورتني، ودينيس أونيل، Celtic Beasts: Animal Motifs and Zoomorphic، (لندن، ١٩٩٩)
- ديكينز، تشارلز، Barnaby Rudge، (نيويورك، ١٩٦٦)
- استديوهات ديزني، Dumbo، فيلم فيديو بمناسبة الذكرى الستين، (لوس أنجلوس، ٢٠٠١).
- دولان، ادوارد ف، Animal Folklore: From Black Cats to White Horses، (نيويورك، ١٩٩٢).
- ايلستون، كاثرين فيهر، Ravensong: Natural and Fabulous History of Ravens and Crows (فلاغستاف، أريزونا، ١٩٩١)
- فيرجسون، غاري، The Worlds Great Nature Myths (هيلينا، مونتانا، ١٩٩٦)
- فوجر، بينديكت، وكلاوس ناشوير، Die Andere Seite des Spiegels: Konrad Lorenz und der Nationalsozialismus، (فيينا، ٢٠٠١).
- فونتناي، اليزابيث دو، Le silence des bêtes: La philosophie. l'épreuve de l'animalité (باريس، ١٩٩٨)
- جيليز، هيربرت أ.، ترجمة، Strange Stories from. Chinese Studio، (نيويورك، ١٩٢٦)
- جيلين، جيمس، ودابل فيرغسون، The Scarecrow Book، (نيويورك، ١٩٨٠)
- جيل، سام. د. وايرين ف. سوليفان، Dictionary of Native American Mythology، (نيويورك، ١٩٩٢)
- جودتشايلد، بيتر، Raven Tales: Traditional Stories of Native Peoples، (شيكاغو، ١٩٩١)
- جودوين، ديريك، Crows of the World، (اتاكا، نيويورك، ١٩٧٦)

- جرانتز، جيفري، ترجمة، Early Irish Myths and Sagas (نيويورك، ١٩٨١)
- جرانتز، جيفري، ترجمة The Mabinogion، (نيويورك، ١٩٧٦)
- جرين، ميرندا، Celtic Myths، (أوستن، تكساس، ١٩٩٣).
- ___، Animals in Celtic Life and Myth، (نيويورك، ١٩٩٢)
- جرم، جاكوب، وويلهلم، The Complete Fairy Tales of the Brothers Grimm،
Grimm، ترجمة جاك زيبز (نيويورك، ١٩٨٧)
- The German Legends of the Brothers Grimm، مجلدان، تحقيق وترجمة دونالد
وارد (فيليدلفيا، ١٩٨١)
- جويراتز، أنجيلو دو، Zoological Mythology or Mythology of Animals،
(شيكاغو، ١٩٦٨).
- هارد، توماس، Jude the Obscure (نيويورك، ١٩٦١)
- هانورن، نانائيل، The Old Manse، (بيدفورد، ماساشوستس، ١٩٩٧)
- هانينغ، بيتر، The Scarecrow: Fact and Fable، (لندن، ١٩٨٨)
- هيني، سايموس، ترجمة، Beowulf، (نيويورك، ٢٠٠٠)
- هينريتش، بيرند، Ravens in Winter، (نيويورك، ١٩٨٩)
- هيردوت، Herodotus، مجلدات، ترجمة، أزد. جودلي (نيويورك، ١٩٢٦)
- The Grandfathers Speak: Native American Folk Tales، هيتاكونانو لاركسك،
of the Lenape People، (نيويورك، ١٩٩٤)
- هول، كريستينا، إ. رادفورد. م.أ. رادفورد، The Encyclopedia of Superstitions،
(نيويورك، ١٩٩٦)
- هومر، The Iliad، ترجمة. أت. موراي (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٦٧)
- هوليهان، باتريك، ف، The Animal World of the Pharaohs، (نيويورك، ١٩٩٦)
- هوغ الفيولي، Hugh of Fouilloys's Aviarium، The Medieval Book of Birds،
ترجمة ويليان ب. كلارك (بينغهامتون، نيويورك، ١٩٩٢)
- The Jerusalem Bible. Readers's Edition، تحقيق ألكسندر جونز (جاردن سيتي،
نيويورك، ١٩٦٨).
- جويس، ب. دبليو، Old Celtic Romances: Tales from Irish Mythology،
(نيويورك، ١٩٦٢)
- كيلهام، لورانس، The American Crow and the Common Raven، (كوليج
ستاشين، تكساس، ١٩٨٩).
- كورس، آلان س. وادوارد بيتيرز، Witchcraft in Europe، ١١٠٠-١٧٠٠،
History، (فيلادلفيا، ١٩٧٢)

- لارنجتون، كارولين، ترجمة، The Poetic Edda (نيويورك، ١٩٩٦)
- ليمينغ، ديفيد. مارغريت ليمينغ. Dictionary of Creation Myths، (نيويورك، ١٩٩٤)
- ليفى، Livy، ١٤ مجلداً، ترجمة. ب. أو. فوستر (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٦٠)
- لورينز، كونراد ز، King Solomon's Ring: New Light on Animal Ways، ترجمة
مارجوري كيبير ويلسون (نيويورك، ١٩٥٢)
- لويل، جيمس روسل. Fable for Critics. by James Russell Lowell; with vignette.، portraits of authors de guibus fabula narratur (لندن، ١٨٩٠)
- ماولوتسكي، ايكيهارت، Hopi Animal Stories (لينكولن، نبراسكا، ٢٠٠١)
- مارتن، بوبي، All About Scarecrows، (فيريد، كاليفورنيا، ١٩٩٠)
- ميغانبيرغ، كونراد فون (كونراد فون أليمان) Das Buch der Natur، [نسخة معادة من الإصدار
الأصلي من ١٣٤٨-٩ (شتوتغارد، ١٨٦١)
- موني، جيمس، The Ghost Dance Religion and the Sioux Outbreak of، (شيكاغو، ١٩٦٥)
- موير، ريتشارد، The English Village، (نيويورك، ١٩٨٠)
- نيل، أفون، وأن باركر، Scarecrows، (باري، ماساشوستس، ١٩٧٨)
- نيلسون، رك. Make Prayers to the Raven: Koryukan View of the، Northern Forest (شيكاغو، ١٩٨٣)
- نيكول، س. دبليو. The Ravens Tale، (ميديرا بارك، كولومبيا البريطانية (كندا)، ١٩٩٣)
- أو كاسي، شين، The Green Crow (نيويورك، ١٩٥٦)
- أوفيد، Fasti، ترجمة جيمس ج. فولزير (كامبردج، ماساشوستس، ١٩٩٦)
- Metamorphoses، ترجمة رولف هومفريس (بلومينغتون، انديانا، ١٩٥٥)
- بواسانيس، Description of Greece، مجلدات، ترجمة دبليو، إتش، س. جونز (كامبردج
ماساشوستس، ١٩٥٩-٦١)
- بلوتو، The Comedy of Asses Plautus، ترجمة بول نيكسون (كامبردج، ماساشوستس،
١٩٦١)، المجلد الاول، الصفحات ١٢٣-٢٣٠.
- بليني، Natural History، ١٠ مجلدات، ترجمة آتش. راكمهام، دبليو. آتش. س. جونز (كامبردج،
ماساشوستس، ١٩٥٣)
- بلونارش، Selection of Nine Greek Lives. trans. Robin، A. Waterford (، (نيويورك، ١٩٩٩)
- ، On the Use of Reason by Irrational Animals، مقالات، ترجمة. روبن واترفيلد
(نيويورك، ١٩٩٢)
- بو/ إدغار آلان، The Philosophy of Composition، Readings on Edgar Allan،

- Poe، تحقیقی. بونی سزومزکی (سان دیگو، کالفرنیا، ۱۹۹۸) الصفحات: ۱۳۷-۴۷
 The Ravens، Last Flowers: The Romance Poems of Edgar Allan Poe،
 and Sarah Whitman، (بروفیدنس، RI، ۱۹۸۷) الصفحات: ۱۱-۱۳.
 بوغنائت، روسلین، Oceanic Mythology، (نیویورک، ۱۹۶۷)
 بولارد، جون، Birds in Greek Life and Myth، (نیویورک، ۱۹۷۷)
 برویاس، ألیکس (المذیر)، The Crow، video-cassette، (بوربانک، کالیفرنیا: أفلام بوینا
 فیستا، ۱۹۹۴)
 بو سونگ-لینغ، Strange Stories from، Chinese Studio، ترجمة هیربرت أ. جیلز (نیو
 یورک، ۱۹۲۶)
 کوامین، دیفید، Has Success Spoiled the Crow، Natural Acts،: Sidelong
 View of Science and Nature، (نیویورک، ۱۹۸۵)، الصفحات: ۳۰-۳۵.
 کیفلی، کریستین، The Corpse،: History، (لندن، ۱۹۹۶)
 کوبلیئر-کوش، آرثر، تحقیق The Oxford Book of Ballads، (اوکسفورد، ۱۹۱۰)
 رید، بیل، وروبرت برینغهرست، The Raven Steals the Light، (سیاتل، واشنگتن، ۱۹۸۸)
 ویتز، جوهان، وکارل کیسلر، Geseze der Republik Pennsylvanien، (ریدینگ، بنسلفانیا،
 ۱۸۰۷)
 روب، ألكسندر، Alchemy and Mysticism، (نیویورک، ۱۹۹۷)
 روز، ویلیام ستیوارت، Apology Addressed to the Travelers Club، or،
 Anecdotes of Monkeys، (لندن، ۱۸۲۵)
 روبلانند، بیریل، Birds with Human Souls،: Guide to Bird Symbolism،
 (کنوکسفیل، تینیسی، ۱۹۷۸)
 ساکس، بوریا، Animals in the Third Reich: Pets، Scapegoats، and the
 Holocaust، (نیویورک، ۱۹۹۹)
 ساکس، جون جیوفری، The Parliament of Animals: Anecdotes and Legends،
 (نیویورک، ۱۹۹۲)
 The Blind Men and the Elephant، after، passage in، [، the Udana، Hindu scripture]،
 Elephants Ancient and Modern، تحقیق ف. س. سیلر، ر. م. مایر (نیویورک، ۱۹۶۸)، الصفحات: ۱۳۹-۴۰.
 شتوشیت، ایلیجان، Animal Life in Jewish Tradition: Attitudes and
 Relationships، (نیویورک، ۱۹۸۴)
 سکوت، سیر والتز، Letters on Demonology and Witchcraft، (۱۸۳۲)
 سیدلمان، هارولد، وجمیس تورنر، The Inuit Imagination: Arctic Myth and

Sculpture (نيويورك، ١٩٩٤)

- Wild Animals. have (ويدعى أيضاً: ايرنست تومسون) ايرنست سيتون تومسون (نيويورك، ١٩٠٠)
- Known (نيويورك، ١٩٠٠)
- شكسبير، وليم، The Complete Works، تحقيق ديفيد بيغينتون، الاصدار الرابع (بوسطن، ١٩٩٧)
- ستيفن، بورتون، The Macmillan Book of Proverbs. Maxims. and Famous Phrases (نيويورك، ١٩٨٨)
- ستون، برايان، ترجمه، The Owl and the Nightingale/ Cleanness/ St Erkenwald، الاصدار الثاني (نيويورك، ١٩٨٨)
- سيوتونيوس، Suetonius، ترجمه، ج.س. رولف (كامبريدج، ماساشوستس، ١٩٩٧)
- توماس، كيث، Man and the Natural World (نيويورك، ١٩٨٣)
- تومسون، جو آر كي وينتورث، Glossary of Greek Birds، (لندن، ١٩٣٦)
- نيبولوس، Catullus/Tibullus/Pervigilium Veneris، تحقيق ج.ب. جولد، ترجمه ج.ب. بوستغايت (كامبريدج، ماساشوستس، ١٩٦٢)، الصفحات: ١٩٢-٣٣٩.
- Worzel Gummidge. or The Scarecrow of Scatterbrook، باربرا ايوفان، (نيويورك، ١٩٤١)
- تويروف، شلومو بيشاش، The Animal Kingdom in Jewish Thought (نورثفيلد، نيوجرسي، ١٩٩٥)
- تويسيل، ادوارد، The Fowles of Heaven. or History of Birdes، تحقيق توماس ب. هاريسون وف. دايفيد هونغير (أوستن، تكساس، ١٩٧٢)
- Vincente the Raven» Farrusco the Blackbird and Other» Stories from the Portuguese، ميغيل، ترجمه دينيس براس (لندن، ١٩٥٠)، الصفحات: ٨٣-٨٨
- Two Death Tales from the Ulster Cycle: The Death of Cu Roi and The Death of Cu Chulainn (دبلن، ١٩٨١)
- فان لان، نانسي، Rainbrow Crow: Lenape Tale (نيويورك، ١٩٩١)
- فيرجل، The Singing Farmer: Translation of Virgils «Georgics»، ترجمه ل. أ.س. جيرمان (اوكسفورد، ١٩٤٧)
- فوراغين، جاكوبز دو، The Golden Legend: Readings on the Saints، مجلدان، ترجمه وليم جرانجر رابان (برينستون، نيوجرسي، ١٩٩٥)
- واديل، هيلين، Beasts and Saints (جراند رابيدز، ميشيغان، ١٩٩٦)
- ويب، ماري، Precious Bane (نيويورك، ١٩٦٠)

وايت جيلبرت، *The Natural History of Selborne* (نيويورك، ١٨٩٠)
ويلسون، الكسندر، وتشارلز لوشيان بونايرت، *American Ornithology, or The*
Natural History of Birds in the United States، أربع مجلدات، تحقيق روبرت
جايمسون (ادنبرة، ١٨٣١)
ياتس، دبليو.ب. *The Poems of W. B. Yeats* (نيويورك، ١٩٨٣)

مواقع الإنترنت

كيفين ج. ماكجوان، عالم طيور في جامعة كورنيل، متخصص في الغربان.
ستحصل الاستفسارات التي تخص التنبؤات بسلوك الغربايات على
أجوبة كريمة ومطلعة: <http://birds.cornell.edu/crows>

For the Love of Crows

من أجل حب الغربان، موقع يحتوي على ملخص موجز للمعلومات
الأساسية حول الغربان، مع العديد من الصور ويرتبط أيضاً بالعديد من
مواقع الإنترنت حول الغربايات: <http://www.zeebyrd.com/corvi29>

Crows

الغربان، وهو موقع مخصص للبحث في ثقافة وتواصل الغرب الأمريكي:
<http://www.crows.net>

Save the Crows

أنقذوا الغربان، موقع لنشاطات الأشخاص المهتمين بشكل خاص
بالقتل الأحمر الذي تمت ممارسته أحياناً على الغرب الأمريكي:
<http://www.savethecrows.org>

Corvidae Corroboree، وهو موقع مكرس للتاريخ
الطبيعي للغربان وهو يحمل اسم مهرجان للأستراليين الأصليين:
[http://www.personal.umich.edu/~csparr/
corvidweb/corroboree.htm](http://www.personal.umich.edu/~csparr/corvidweb/corroboree.htm)

Avian Companions

الطيور الرفاق، وهو موقع شامل حيث من الممكن البحث عن المعلومات
عن الطيور الغربية نسبياً بما فيها الغربايات:
[http://www.aviancompanions.com/links/crows.
html](http://www.aviancompanions.com/links/crows.html)

Crows and Ravens

الغربان والغبان السوداء؁ موقع شخصي يديره محب للغبان والغبان السوداء يختص بكيفية ظهورها في الأساطير والخرافات.

http://www.angelfire.com/doc/general/insite.html?search_string=ravens+birds&memberurl=http://www.angelfire.com/sys/popup_source.shtml?search_string=ravens+birds

شكر وتقدير

أشكر زوجتي ليندا ساكس على العديد من الاقتراحات التي قدمتها ولتشجيعها لي خلال كتابة هذا الكتاب. وجزيل الشكر أيضاً لماريون دبليو. كوبلاند التي ساعدتني بمعرفتها الواسعة بالحيوانات في الأدب الحديث. كما أثار روب ريسير انتباهي لقصة غراب قوس قزح وقصص أخرى مهمة. وأنا ممتن أيضاً لجوناثان بورت، الباحث وكاتب عمود (الحيوان) والذي كان أول من اقترح عليّ كتابة هذا الكتاب.

وبما أنني بدأت الكتابة حول الغربان فقد أصبحت واعياً أكثر لوجودها في روتين حياتي اليومي، وقد قدمت لي الأفكار والتوجيه والتسلية، وإذا شعر القارئ بشيء مشابه، فسيكون هذا الكتاب قد حقق هدفه الأساسي.

الجمعيات

أسكار (الجمعية الأمريكية للغربان والغربان السوداء)

ASCAR (American society for cows and ravens)

www.ascaronline.org

تقوم هذه المنظمة بتتبع التطورات الثقافية والاجتماعية والعلمية التي تؤثر على الغربان والغربان السوداء وأقاربها، وتصدر نشرة إخبارية غير دورية تحت اسم Corvi Chronicle.

لمزيد من المعلومات: اسكار، ص.ب: ١٤٢٣، لورانس، كنساس ٣٢٤٨-٤٤٠٦٦ الولايات المتحدة الأمريكية.

ASCAR, P.O Box 1423, Lawrence, Kansas 66044-8423, USA

نيلاس (الطبيبة في الأساطير والقصص)

NILAS (nature in legend and story)

www.h-net.org/~nilas

تدرس هذه المنظمة تصوير الحيوانات والنباتات في الأساطير والأدب والثقافة والفنون والجوانب الأخرى من الثقافة البشرية. وهي تتضمن (مجموعة طوطمية) تركز نفسها للغرابيات.

لمزيد من المعلومات الرجاء الاتصال بالسيد ديفيد س. أندرسون، أمين السر، نيلاس، ٣٤٠ كيلدبير كورت، لنكولن، كاليفورنيا ٢٤٧٤-٩٥٦٤٨، الولايات المتحدة الأمريكية.

David C. Anderson, Treasurer, NILAS, 340 Killdeer Court, Lincoln, California 95648-2474, USA

حلقة الغربان والغربان السوداء الأليفة

www.angelfire.com/nj2/corax/ring.html

منظمة غير رسمية تشمل الأفراد الذين يحتفظون بغربان أليفة أو هم مهتمون بها، ويتبادل المشاركون فيها المعلومات والحكايات.



«تعادنا هذه السلسلة الجديدة بإدمان جديد...»
ديزموند موريس
«كتاب رائع ومتع حقاً... خيارك المثالي للقراءة»
الميثاق البريطاني لأخبار علم الطيور
«سلسلة جريئة ومذهلة»
الإنديبيندنت

لا يسعك إلا أن تلحظ الرشاقة التي يتمتع بها الغراب! فتقوس واحد ينزلق من رأس منقاره وحتى نهاية ذيله، ويتحرك بتناغم حينما يحرك الغراب رأسه أو ينحني باتجاه الأرض. باستطاعة هذه المخلوقات الرائعة أن تطير دون أن تبذل جهوداً تذكر. وترتفع في السماء بكل انسيابية مخلقة في مختلف أنحاء الأرض.

في العديد من الحضارات التي تمتد من الصين وحتى هوند الهوبي اعتبرت الغربان حاملة للنبوءات. واستخدمها الإغريق في حفلات الرفاف كرموز للحب المشترك بسبب رقصات التودد التي تمارسها وعلاقتها التي تعتمد فيها على زوجة واحدة.

يتطرق هذا الكتاب إلى الغربان والغربان السوداء وغربان العتق، وذلك في كل من الأساطير والأدب والحياة. حيث يبدأ من الغراب الذي أرسله نوح إلى الغراب الالهة لدى الاسكيمو، وصولاً إلى الأساطير والروايات الفيكتورية والأفلام المعاصرة. فإن كنت ممن شعروا بأنهم منزعجون أو مسحورون بهذه الطيور الفائقة الذكاء، فمن شأن هذا الكتاب أن يثير اهتمامك بلا ريب!

بورياساكس محاضر في الأدب في كلية ميرسي في دويوس فيري بنيويورك، ومؤسس (NILAS) منظمة الطبيعة في الأساطير والقصص
يتضمن هذا الكتاب ٩٥ رسماً توضيحياً، منها ٢٧ رسماً ملوناً.



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

